ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1121 - الجمعة 1 جمادى الثانية 1426 هـ - الموافق 8 يوليوز 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

في أحكام التوبة

في رسم بعض حروف التنزيل

التحذير من تضييع الوقت

أدب الحوار في الإسلام

اختصار كتاب النظر في أحكام النظر

البيعة في الاسلام ووجوب الطاعة لولي الأمر والحث على الاتحاد

2/3

وكان أول كلام قاله عمر حين استخلف: (إنما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده، وأما أنا فورب الكعبة لأحملهم على الطريق). وكان أول خطبة خطب بها عثمان عندما ولي قوله: (إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعمروها ومتعوا بها طويلا ألم تلفظهم.

ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا - والذي هو خير - فقال عز وجل: "**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**).

وأول خطبة خطب بها علي كرم الله وجهه للأمة في خلافته قوله: إن الله أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا الخير ودعوا الشر، إن الله حرم حرما مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب.. اتقوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوه وإذا رأيتم الشر فدعوه، (واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض) الآية.

فمن تتبع أقوال الخلفاء الراشدين عند تسلمهم مسؤولية الخلافة يجدهم حريصين كل الحرص على أن ينهض أفراد المجتمع وجماعاته لبناء الأمة ونشر الخير واجتناب الشر والعمل على ما يحقق سعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة... بصدق وشفافية مطلقين حرصا منهم على تطبيق واجب البيعة.

هكذا كان المسلمون في صدر الإسلام يبايعون على أن لا ينازعوا الأمر أهله ويوجههم ولي الأمر لما فيه صلاح حالهم ومآلهم. وقد حافظ هذا الجناح الغربي من الدول الإسلامية على ما دعا له الكتاب والسنة في الإخلاص للبيعة من عهد مولاي ادريس الأول إلى عهد أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس دام عزه وعلاه وحفظ هذا العرش العلوي المجيد بما حفظ به الذكر الحكيم.

لا تحيد المملكة المغربية الشريفة عن هذا السنن النبوي لما فيه من المحافظة المطلقة على ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرص على تطبيقه بكل أمانة خلفاؤه الراشدون، الذين خدموا الإسلام والمسلمين بصفاء ونقاء وعدل وورع.

فباحترامهم ملوكا ورعية لعقد البيعة ولما تدعو له من خدمة الوطن والمواطن استطاعت الدولة الإسلامية في ظرف وجيز أن يشع نور علمها، ويعم عدلها وإنصافها، وينتشر هديها في كثير من أصقاع العالم...، وسر هذا الفتح الإسلامي يكمن في امتثال ما أمر الله ورسوله به.

فكان النصر حليف المجتمع الإسلامي في حقبة صدر الدولة الإسلامية، لإخلاص الملوك والرعية لبنود البيعة الشرعية، لا غش ولا غدر ولا خيانة، بل الكل يطبع عمله الإخلاص والصفاء، والمحبة بين الوالي والرعية متبادلة....

لقد احترم المسلمون ما تدعو إليه البيعة الشرعية من واجب الطاعة لولي الأمر لأن مصلحة المجتمع تكمن في الانقياد والطاعة له، فعن عبادة ابن الصامت قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم) وفي رواية: (وعلى أن لا ننازع الأمر أهله قال: إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) رواه الشيخان.

ولقد أحاط الإسلام البيعة الشرعية بسياج من الاحترام، وأمر الشرع بعدم المساس بها، كما أوجب امتثال ما تنطوي عليه بنودها، وأمر بالانقياد للمبايع ونهى عن الخروج عليه، وحث على طاعته. وصرح عليه الصلاة والسلام بالتصدي لكل من سولت له نفسه بالمس من المبايع الأول، إذ تحظر الشريعة الخروج عليه، فلمسلم: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا آخرهما). قال شارحه: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول قال: فإذا بايع الناس شخصا وظهر آخر يطلبها فاقتلوه إن لم يدفع بدون القتل لأنه طالب فتنة).

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-29-

لقد وصلنا في قراءة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين في حجة الوداع ساحة عرفات يوم تاسع من شهري ذي الحجة سنة ثلاثة عشر هجرية سنة الوفاة النبوية بعد نحو مائة يوم من تاريخ الخطاب الإسلامي العظيم الذي أتى فيه على كثير من التوجيهات النبوية وأخبر المستمعين بأنه قد لا يلقاهم في هذا الموضع مرة أخرى.

وقد توقفنا عند الفقرة الواحدة والعشرين من الخطاب، وقد بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطاب مخصوص يريد منه أن يبين للمسلمين كافة أن سيدة الأسر والقبائل العربية مكة والتي كانت منبته ومولده وموضع حياته الأولى وبداية تكليفه من ربه بالرسالة الإسلامية بوحي من الله تعالى وهي القبيلة القريشية التي كان لها الفضل الأكبر في ميلاد هذا الدين وفي حمل رسالته للعالمين، وجعل كتابه القرءان آخر الكتب، ورسالته الدينية الإسلام آخر الرسالات وحاملها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والرسل الكرام، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد من توجيه الخطاب إلى عشيرته أن يشعر الناس بأن الدين الذي جاء به من عند الله لا يفرق بين المومنين به ولو كانوا من قبيلته وعشيرته، وأن حمله لنسب قريش لن يزيدها في الحياة الدنيا والآخرة شيئا عن بقية المسلمين، فالقاعدة الإسلامية التي تقوم عليها العلاقات والارتباطات والولاءات هي القاعدة العامة: كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرم الناس عند الله في الآخرة أتقاهم وليس أعرقهم نسبا أو أكثرهم عددا. فلنستمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمات والحروف في هذا الموضوع الذي يعطي بعدا فكريا لحامل رسالة الإسلام، ويؤسس لمبادئ المساواة بين الناس وضمان حقوق الجميع في ساحة الدنيا مع رفض أي ميزة عشائرية أو قبلية فالإسلام شريعة الله للناس كافة، وأقرب الناس إلى الله وأخيرهم عنده وأكرمهم لديه من جاء يوم الحساب وصفحات حياته كلها عمل خير وبر وتقوى وتقرب إلى الله عز وجل، سواء كان من عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من قبيلة بلال بن رباح، فكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله سيقف مع أمثاله في صف واحد يوم الحساب.

الأستاذ أحمد أفزاز
النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

فاطمة بنت عتيق الأموية

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ عالمة ماجدة من أعرق الأسر الكريمة بالأندلس، من أسرة الإمارة والملك، ينتهي نسبها إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية، الداخل، صقر قريش، وهوابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، مؤسس الدولة الأموية بالأندلس، وأحد عظماء القادة، اختفى بعد القضاء على الدولة الأموية بالمشرق، ولحق به مولاه بدر، وقصد المغرب، وراسل بعض رؤساء القبائل بالأندلس، فمهّدوا له سُبُل الدخول إليها وأمّروه عليهم، فحارب واليها: يوسف بن عبد الرحمن الفهري، ودخل قرطبة منتصراً، واطمأن إليه أهل الأندلس، وعكف على تنظيم دولته، وقطع خطبة العباسيين، وأعلن استقلال إمارته، ولقبه المنصور العباسي بصقر قريش لدهائه، كان شجاعاً مقداماً، شديد الحذر، سخياً، خطيباً مفوهاً، شاعراً، عالما ... دخل الأندلس سنة: 138 هـ وتوفي سنة: 172 هـ وتوارث أبناؤه وأحفاده الإمارة من بعده ...

هذا هو جد مترجمتنا في إشارة مقتضبة جداً، أما والدها، فهو عتيق بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر بن سعيد ابن محمد، جده الأعلى عبد الرحمن بن معاوية، أمير الأندلس، الملقب بالداخل تنقل في بلاد الأندلس، واستقر بنواحي مالقة، كان أستاذاً في القرآن، تلا بالسبع على كبار الشيوخ بالأندلس، مفردا، وجامعاً، قرأ عليهم، وسمع منهم، وشيوخه من أكابر علماء عصره، ثم أخذ الحديث النبوي عن رجاله المتضلعين فيه، وأخذ الموطأ بالسند المتصل بشيوخ الأندلس إلى يحيى بن يحيى الليثي، عن الإمام مالك، وأجاز له الشيوخ الحفاظ بالأندلس، كأبي الحسن بن هذيل، وأبي القاسم بن بشكوال، وأبي مروان بن قزمان، وبعد أن تضلع في علوم القرآن، وعلوم الحديث، رحل إلى المشرق بقصد الحج ولقاء الشيوخ، قال ابن عبد الملك بالذيل والتكملة: لقي في وجهته أعلاماً روى عنهم، ذكر جماعة منهم بأسمائهم، وبالإسكندرية لقي أبا الطاهر السلفي، وابن عوف، قرأ عليهما وسمع وأجاز له، وبمكة كرمها الله، لقي أبا الحسن بن عبد الله بن حمود المكناسي الطويل المجاور بحرم الله، فأكثر عنه، وأجاز له، ثم عاد إلى الأندلس فتصدر بمالقة للإقراء والتحديث، وذكر ابن عبد الملك جماعة من الذين رووا عنه وسمّاهم ... فهذا هو والدها.

فمترجمتنا من أسرة علمية عريقة، وذات مكانة مرموقة بالأندلس، أخذت عن والدها، وعن غيره من شيوخ العلم، وعالمتنا هذه انتقلت من مالقة إلى مراكش وسكنتها واستقرت بها، كانت حافظة لكتاب الله العزيز، كثيرة التلاوة له، مواظبة على أفعال الخير، وأعمال البر، محسنة ذاكرة، تدل أعمالها على نبلها وأصالتها ...

يقول ابن عبد الملك: وكانت زوجَ الفاضل أبي عمرو عبد الواحد بن تقي، وأم صاحبنا أبي الحسن ابنه، فابن عبد الملك المراكشي ترجم لها بالذيل، والتكملة، وهو يعرفها حقّ المعرفة، وولدها أبو الحسن من أصدقائه وأصحابه.

وبما أن أسرة مترجمتنا السيدة فاطمة بنت عتيق الأموية سكنت مدينة مراكش، فقد تعرفت هذه الأسرة الأندلسية على علماء المدينة ووجهائها، وفضلائها، ومنهم محمد بن عبد الملك الذي انفرد بترجمتها، ولولاه لما عرفنا عن هذه السيدة شيئا يذكر، فكثير من علمائنا، وعالماتنا، غمرهم النسيان، ولم تكتب عنهم كتب التراجم شيئاً، فظلوا مجهولين لا يعرفهم أحد، فكتُب التراجم تترجم للمشهورين، ولمن عرَف بهم تلامذتهم والآخذون عنهم.

ومترجمتنا لم يذكرها صاحب «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» مع أنه ترجم لزوجها عبد الواحد بن تقي، ونقل ترجمته عن الذيل والتكملة، حيث قال عنه صاحبها: «عبد الواحد بن محمد ابن بقي، . بواحدة . ابن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن تقي الجذامي، مالقي سكن بأخرة مراكش، أبو عمرو بن تقي، ثم ذكر مجموعة من شيوخه الأندلسيين، إلى أن يقول: «وروى عنه ابنا أخته: أبو عبد الله، وأبو جعفر الطنجاليان، وأبو الحسن عبيد الله بن عاصم الدائري، وكان مقرئاً مجوداً محدثاً، ماهراً في علم العربية، ورعاً، ناسكاً فاضلاً، سنياً، كتب بخطه الكثير. من المؤلفات. وعني بالعلم طويلاً، وتوفي بمراكش لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، سبع وثلاثين وستمائة.

لقد كان زوج السيدة فاطمة بنت عتيق الأموية، من المشهورين من علماء الأندلس، أخذ عن جملة علمائها، وشيوخها، ثم انتقل في آخر حياته إلى مدينة مراكش، وسكن بها هو وزوجه فاطمة، وتعرف على علمائها وأهلها، وطابت لهما الحياة بها، وترجم لهما ابن عبد الملك باعتبارهما من علماء الأندلس الذين يتوفرون على شرط المؤلف، الذي هو : العلم والاتصاف به، وروايته عن شيوخه، كما اشترط ذلك أبو الوليد ابن الفرضي في كتابه: «تاريخ العلماء، والرواة للعلم بالأندلس » وتبعه في ذلك أبو القاسم الحافظ ابن بشكوال، في كتابه: «الصلة» وجاء بعدهما ابن الأبار، وابن الزبير، الأول في «التكملة» والثاني في «صلة الصلة» ولاحظ عليهما ابن عبد الملك أنهما لم يلتزما بشرط الشيخين: أبي الوليد ابن الفرضي، وأبي القاسم ابن بشكوال ...

ومهما يكن من أمر فإن الشيخة فاطمة الأموية، ظلت بمراكش بعد وفاة زوجها الذي توفي سنة: 637 هـ وتوفيت هي رحمها الله في حدود الخمسين وستمائة، أي بعد وفاة زوجها بما يقرب من عشرين سنة، ودفنت بمراكش رحمها الله ورضي عنها.

ويصادف هذا العصر الذي سكنت فيه مترجمتنا وزوجها مدينة مراكش أواخر الدولة الموحدية، وبالضبط عصر أبي العلاء المامون الموحدي، وعصر ولده الرشيد بن المامون، وهذا العصر حدثت فيه فتن كثيرة وثورات، ومن مآسيه سقوط قرطبة في يد العدو بالأندلس، سنة ست وثلاثين وستمائة هجرية.

وفي هذه الفترة من تاريخ المغرب، ظهر بنو مرين واشتدت شوكتهم، وزحف إليهم الرشيد ابن المامون الموحدي، فهزموه ثلاث مرات، وحاول التغلب عليهم، ولكنه لم يفلح في ذلك، وفي كل معركة معهم، يُقتل عدد وافرٌ من الرجال، وينفق ما لا يحصى من الأموال، واستمر هذا من العراك لأكثر من سنتين، إلى أن يئس الأمير الموحدي، ورجع عنهم إلى مراكش، فاشتد عدوانهم، واضطربت الأحوال، وانتقم الرشيد من بعض مساعديه، وظل يعاني إلى أن مات غريقاً في بعض صهاريج بستانه بمدينة مراكش، وكل ذلك كان من بوادر الدولة الموحدية، لتحل محلها بعد حين الدولة المرينية.

× وكان العلماء بالرغم من هذه الاضطرابات السياسية، يؤدون رسالتهم العلمية، يدرسون، ويؤلفون، وتنتظم حلقات دروسهم مع طلابهم ومريديهم، يرشدون ويوجهون ويفتون الناس فيما يستفتونهم فيه من أمور عباداتهم، ومعاملاتهم، وفيما يتعلق بزواجهم، وميراثهم، وشؤون معاشهم، وبذلك ظل العلماء قائمين بواجبهم في الإرشاد والتوجيه وترسيخ العقيدة، وبيان سمو مبادئ الإسلام، ومنهم مترجمتنا، ووالدها، وزوجها، رحم الله الجميع.

(تتمة ص1)

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، « يا معشر قريش: لا تجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم، ويجيىء الناس بالآخرة، فإني لا أغني عنكم من الله شيئا» إنه توجيه نبوي سامي في عالميته عالي في نفي الخصوصية النسبية عن أي فئة من المسلمين، إنه خطاب رافض لحساب النوعية أو الطائفية أو الجهوية أو القبلية، فإن هذه الأمور الدنيوية لا تغني قريشا بشيء عند الله تعالى، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من قلب هذا البيت الكريم ومن أكرم أسره وأطهر أنسابه وأفضل أبنائه، وهذه نظرة المسلمين كافة لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الخطاب- الوصية . له موقعه التاريخي، فرسول الله صلى الله عليه وسلم مكث في مكة ثلاثة عشر سنة يدعو إلى الله وما آمن معه إلا قليل، وهاجر المسلمون إلى الحبشة فرارا من قريش، ثم شرعوا يهاجرون إلى المدينة المنورة وقد جاءت وفودها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايع على كلمة لا إلاه إلا الله وتفتح قلوبها أولا وديارها ثانيا لهذا الدين ،،، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاثة عشر سنة من الإقامة بمكة نراه ليلة الهجرة يغادر ليلا وخفية ومعه رفيق الغار أبو بكر الصديق ويختبئ في الجبل ثلاثة أيام قبل الانطلاق نحو المدينة شمالا على طريق خاص غير مسلوك من عامة الناس في السفر إلى المدينة المنورة، وهذه الاحتياطات "الأمنية في الانتقال إلى المدينة كانت لأن أهل مكة شعروا بأنهم انهزموا في مقاومتهم لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرروا في النهاية التصفية الجسدية ليلا بمشاركة قاعدة كل الأحياء العربية بمكة المكرمة يريدون ليطفئوا نور الله، والله متم نوره ولو كره المشركون، بعد أكثر من نصف الحياة الإسلامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فها هو يخرج ليلا متسترا من قريش ومن أهلها، رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذكر هذا وهو يقف في ساحة عرفات ويخاطب قريشا بصفة خاصة: إني لا أغني عنكم من الله شيئا، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فالأمر كان بيده « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى » كما يقول الله عز وجل، فإذا جاء الناس بالتقوى والعمل الصالح يوم القيامة، وجئتم تحملون لا فتة نحن قريش، آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك لن يغنيكم من الله شيئا، وشهادة الازدياد والقبيلة والفصيلة لا قيمة لها يوم الحساب عند الله تعالى .

وقد كان هذا التوجيه النبوي في هذه المناسبة الخالدة له ضياؤه الخاص من موقع العلاقات الاجتماعية في الأمة الإسلامية، وفي تكريس الثقافة الخصوصية للفكر الإسلامي في نظرته إلى البيت النبوي الكريم قبل هذا التاريخ وبعده.

ثم يرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخطاب الموجه إلى سكان مكة وما يتبعها، وأخبرهم بأن العقيدة الإسلامية قد تثبت أقدامها في هذه الديار، وأن الشيطان عدو الإنسان قد يئس أن يعبد فوق هذه الأرض بصفة خاصة، ولكنه قبل أن تكون أعمال سكان هذه الأرض سلبية وحقيرة، ورضي الشيطان بذلك، وأن الإسلام عقيدة وعمل، يقول الله تعالى « والعصر إن الانسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»، فإذا حمل الإنسان الدين على أنه إيمان وسلوك فقد أنقذ نفسه، وفر منه الشيطان ولكن إذا حمل جواز السفر الإسلامي، وعمل ما يناقض الإسلام سلوكا وأخلاقا، وهو المنهج الذي وضعه الشيطان في طريق المسلمين وهو ما يحذرهم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصيته النبوية في الفقرة الثانية والعشرين والتي يقول فيها صلى الله عليه وسلم « أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم»، وإلى عدد قادم إن شاء الله تعالى. والسلام.

الوثاق

اختصار كتاب النظر في أحكام النظر

للشيخ المحدث علي بن عبد الملك ابن القطان

إعداد وتقديم الأستاذ : إدريس كـرم

الحلقة السادسة

حمدا لله أهل الحمد ومستحقه، فإني قصدت إلى اختصار كتاب النظر في أحكام النظر، للشيخ الفقيه المحدث أبي الحسن علي بن عبد الملك بن القطان، إذ هو كتاب جليل القدر، عظيم النفع، فقير المثل، والداعي إلى اختصاره أن بعض أهل الدين الباحثين عما يلزمهم في أمور دينهم، ممن ليس لهم باع في العلم، إذا رام طلب مسألة منه، شق عليه استخراجها منه، لما اشتمل عليه الكتاب من سياق الأدلة، من الكتاب والسنة، وحجج الخواص من أهل العلم، فقصدت لتجريد مسائله ليسهل على المبتدئين والمريدين النظر فيه، والله تعالى يجعله خالصا لوجهه بفضله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

....مسألة إن كان المنظور إليه أمرد مدركا أو غلاما، أي غير مدرك فإن قصد التلذذ، وامتاع حاسة البصر بمحاسنه، بحيث يكون معترضا لحب الهوى، وولوع النفس الموقع له في الافتتان، هذا مما لا خلاف في تحريم النظر عليه، بل يحرم بالإجماع، أن يقصد إلى ذلك، وإن نظر إليه غير قاصد التلذذ، وهو آمن من الفتنة جاز بالإجماع، وأما ألا يقصد التلذذ، ولا يأمن على نفسه تحركها إليه، فمن الفقهاء من يقول النظر إليهم في حق هذا حرام لأنه حينئذ كالمرأة في حقه، والامر بغض البصر قد تقرر في الشرع، أن علة ذلك صيانة النفس عن الهوى، ومنهم من يقول بالإباحة مطلقا، لما في التحفظ من المشقة، ولكن مع ذلك إن حس بها حس في النفس حرم التمادي، لأن الالحاح فيه دال على العمل بمقتضى ثوران الهوى، والقول الأول أظهر، في حق الخائف على نفسه.

باب النظر إلى النساء

مسألة نظر المرأة إلى عورة المرأة التي هي السوءتان حرام هذا ما لا خلاف فيه، وأما السرة والركبة وما بينهما فهي على ما تقدم، من كون ذلك عورة أم لا.

❖❖❖❖

مسألة نظر المرأة إلى ما عدا العورة من المرأة إن قلنا أن المرأة ليست كلها عورة، أو فرقة بين حالها وبين مع الرجل، وحالها مع النساء، فالنظر إليها ينبغي على ذلك.

❖❖❖❖

فمن قال ذلك، يجوز للمرأة أن تبدي للمرأة ما تبدى من العورة أجاز لها النظر ويشبه أن يكون مذهب أبي حنيفة، لأنه قال وتنظر المرأة من المرأة إلى ما يجوز للرجل أن ينظره من الرجل، ومن قال لا يجوز لها أن تبدي للمرأة إلا ما تبدو به للرجال الأجانب مع المرأة أن تنظر منها إلا ما ينظره الأجنبي، قاله عبد الوهاب ومن قال تبدي المرأة للمرأة ما تبديه لذوي المحارم، قال هي في النظر إليها ترى منها ما ينظر إليه ذوو المحرم مشتهاة كانت أو غير مشتهاة، ما لم تكن رضيعا، أما الصغيرة فلاشك في جواز النظر إلى ما عدا عوراتها مطلقا، فالأبوان في ذلك بخلاف، وعندي في هذه المسألة ينظر فيها ان ما قيل في مسألة الامرد فإن قصدت الالتذاذ بالنظر حرم ذلك، وإن كانت تخاف مع ذلك الافتتان كان الأمر أشد، وهاهنا الإجماع معلوم، وإن لم تقصد التذاذا، ولا خافت على نفسها، فهذه يجوز لها النظر إلى الوجه والقدمين والشعر والعنق إجماعا، ونظرها إليها كنظرها إلى ابنتها، أو إلى استحسانها، وإن خافت على نفسها فيكون في ذلك ثلاثة أقوال.

قول يجوز النظر بإطلاق، وإن خافت بعد النظر،

والثاني لا يجوز لها النظر إلا ما جاز لذي المحرم، من ذات محرمها فإن نظرت وتحرك منها ما يوفها الفتنة امتنع،

❖❖❖❖

والقول الثالث منعها من النظر إلا ما ينظر الأجنبي، فإن نظرت فتحرك منها داعية امسكت، وإذا تزينت المرأة وجاءت سائلة احيلت على ما تعلم من نفسها، فإن خافت الفتنة امتنع النظر.

❖❖❖❖

مسألة نظر المرأة الى عورة الصغيرة فإن كانت أما أو رابة فيجوز لضرورة في زمن التربية أما ما فوق زمن التربية فهل يجوز من الأم إلى بنتها بغير حاجة هو موضع نظر، والأظهر الإباحة مادامت صغيرة غير مشتهات لغيرها، والمنع إن كانت مراهقة ونحوها، ولا أعرف لهم فيها نصا بالإباحة، وقد نص الغزالي على منع النظر إلى فرج الصغيرة ولا يفرق بين أم ولا غيرها ولا بين مراهق ولا غيره.

❖❖❖❖

مسألة: فإن كانت المرأة أجنبية ولم تكن رابة فهل يجوز نظرها إلى أخرى سوءاتها هذا موضع نظر أيضا وقد تقدم ما أطلقه الغزالي ويمكن أن يقال في الصغيرة التي لا تشتهى إن ذلك منها ليس بعورة وهذا هو المنصوص عليه للفقهاء إلا ما تقدم للغزالي فإن كانت مراهقة فامتناع نظر الأجنبية إليها أحرى من امتناع نظر الأم إليها.

❖❖❖❖

مسألة: كل ما قلناه في هذا الباب من نظر المرأة إلى المرأة فيما عدى العورة فإنما نعني به الأجانب، أما الأم والجدة والخالة وكل امراتين لو قدرت إحداهما رجل والأخرى امرأة حرم التناكح بينهما فإن هولات يجوز للواحدة منهن أن تنظر إلى ما يجوز من المحرم أن ينظر إليها منها، أما ما عدى ذلك كالبطن والصدر مما لا يجوز لذو المحرم النظر إليه فهل يجوز نظرهن إليه أم لا؟ هذا لا أعرف فيه للفقهاء نصا، والظاهر عندي جوازه، لان الشهوة لا تتور بينهن فإن فرض حرف امتناع.

❖❖❖❖

مسألة: كل ما منعه الرجال من النظر إلى الغلام أو منعته المرأة من النظر الى الجارية لا مدخل للأهل في ذلك لعدم الخوف بينهم غالبا بل، قد جاز ما هو أشد منه، قال مالك في الذي يقدم من سفر فتقبله ابنته أو أخته وأهل بيته لا بأس بذلك، قال القاضي أبو الوليد ابن رشد: إنما خفف ذلك لأن القصد فيه الحنان والرحمة لا ابتغاء اللذة إذ ليستا ممن ينبغي ذلك فيهما والأحسن فقدانه مخافة ان يتلذذ بذلك وإن لم يقصد والأظهر عندي الجواز وهي في الابن أظهر منه في البنت، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل فاطمة، وفعله أبو بكر والصحابة في بناتهم قال القاضي اسماعيل: هذا إذا كان الوالد مأمونا ويجوز مثل ذلك للولد أن يقبل أمه إذا كان أيضا مامونا ولا يجوز ذلك للأخ ومن دونه ممن ذكر في الآية من ذوي الأرحام وما شرطه القاضي لا معنى له فإن الكلام انما هو فيما يجوز له والمأمون إذا قصد اللذة حرم عليه، وغير المامون إذا لم يقصد ذلك جاز له.

❖❖❖❖

مسألة: باب نظر الرجل إلى المرأة إن كان تحل للرجل وطءها فلا كلام إلا في نظره إلى فرجها فإنه موضوع خلاف فأجازته المالكية، وقيل لأصبغ أن قوما يذكرون كراهته فقال من كرهه إنما كرهه بالطب ليس بالعلم، لا بأس وليس بمكروه، وروي عن مالك انه قال لا بأس أن ينظر إليه في الجماع زاد في الرواية ويلحسه بلسانه وهذه مبالغة في الإباحة وليس ذلك على ظاهره قال القاضي أبو الوليد بن رشد أكثر العلوم يعتقدون انه لا يجوز أن ينظر الرجل إلى فرج امراته في حال من الأحوال ولقد سألني عن ذلك بعضهم، واستغرب لأن يكون جائزا ومثل ذلك مذهب الحنفية والشافعية قولان: الإباحة، والمنع والنظر إلى داخلها أشد، قال الغزالي وأعرف لأبي اسحاق منهم أنه قال يكره النظر إليه لأنه مسخف ولا يحرم وجاء في حديث النهي عنه فإنه يورث العمى فإن صح الخبر لزم الانتهاء ولكن الحديث منكر.

❖❖❖❖

مسألة: أما بعد الموت فهل يرى أحد الزوجين ذلك من صاحبه؟ إذا قلنا أن كل واحد منهما يغسل الآخر فهذا موضع نظر، قال مالك: لا بأس أن يغسل أحد الزوجين صاحبه من غير ضرورة ولا يطلع أحدهما على عورة صاحبه رواه ابن وهب وابن عبد الحكم. وعن أشهب يغسله مجردا ويمكن أن يكون معناه من غير نظر إلى عورة فلا يكون خلافا وأما مكاتبته فلا يغسلها وإن لم تترد شيئا وكذلك معتقة الرجل.

❖❖❖❖

مسألة: نظر الرجل إلى ذات محرمه إن كان إلى العورة فلاشك في التحريم إلا أن تكون صغيرة هاهنا يختلف حكم ذوي المحارم، وأما الأب والجد في حال التربية فلا كلام في جوازه، وأما ما عداهم كالأخ وابن الأخ والخال فهل يجوز لهم النظر إلى عورة الصغيرة من غير ضرورة أم لا؟ الظاهر أنه ممتنع لأنه لا حاجة لذلك والتحرز ممكن وباب الاطلاع على العورة ضيق وليس عندنا دليل نبيح به النظر إلى الصغار بإطلاق فوجب غض البصر إلا أن يصد عن هذا صاد، والمسألة محتملة والمنع أظهر وليست كمسألة عورة الصغير فإن ذلك لا ينظر من الصغير إلا كما ينظر وجهه أو بطنه إلا في حق النساء فإنه يمكن أن يجعل ذلك منه مثل ما جعلنا من الصغير في حق الرجل وهذا كله مع الاختيار، أما لو دعت ضررة لصغيرة لا فلها خرج ذلك الى باب الضرورات.

❖❖❖❖

مسألة: بأن كان زمن التربية قد تقضى فإن كانت في حد من تشتهى وتميز عن الغلام فإنه لا يجوز للأب النظر إلى فرجها وأما قبل ذلك كالفطيم ونحوها فموضع نظر وينبغي أن يستصحب حال الإباحة المتقدم حتى يرتفع بدليل،

❖❖❖❖

مسألة: وأما نظر الرجل من ذات محرمه أن الوجه والكفين والقدمين صغيرة أو كبيرة فلا خلاف في جوازه،

❖❖❖❖

مسألة: إلا أن ينظر إلى ذلك منها بقصد التلذذ فلاشك في تحريمه، وأظن أنه لا خلاف فيه وابن عبد البر قد نص على تحريمه، روي فيه عن أحمد شيئا إلا أنه قال عن الشعبي أنه كره أن يديم النظر إلى أمه أو أخته أو ابنته، قال أبو عمرو وزمانه خير من زماننا، وهذا عندي من الشعبي كراهة النظر الذي يمكن عند التلذاذ وافتتان وإن لم يقصد التذاذ، وأما لو قصد اللذة فلا خلاف أرى في تحريمه.

في ظلال الحديث

الحديث السابع والثلاثون والمائة : التوبة

نص الحديث:

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضلّه في أرض فلاة». متفق عليه.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث :

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التوبة ح 5834، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ح 4927، وابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة ح: 4239، وأحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، ح 10093 وغيرهم بألفاظ متقاربة وزيادات ...

درجة الحديث :

حديث متفق على صحته.

سند الحديث :

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، وقال: حدثنا إسحاق أخبرنا حبان حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا إسحاق: هو أبو يعقوب، إسحاق بن منصور بن بهرام التميمي، من الوسطى من تبع الأتباع، ثقة ثبت، روى عن أحمد ابن محمد بن حنبل، وحبان بن هلال، وحجاج بن المنهال، وحيوة ابن شريح، وسفيان بن عيينة، والضحاك بن مخلد وقوم غيرهم، وهو أحد شيوخ البخاري ومسلم، والترمذي وابن ماجة وأحمد، قال عنه أبو حاتم الرازي: صدوق، وقال النسائي: ثقة ثبت، وقال عثمان بن أبي شيبة: ثقة صدوق، توفي رحمه الله سنة 251.

أخبرنا حبان: هو أبو حبيب حبان بن هلال الباهلي، من الصغرى من الأتباع، ثقة ثبت، روى عن أبان بن يزيد، وحماد بن سلمة بن دينار، وسليمان بن المغيرة، وشعبة بن الحجاج بن الورد، وهمام بن يحيى وغيرهم، وروى عنه علي بن مسلم بن سعيد، وعبد الحميد بن حميد بن نصر، وعباد بن خالد .. وخلق، قال عنه أحمد بن حنبل: إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، ووثقه يحيى بن معين والترمذي، وقال محمد بن سعد: ثقة ثبت حجة، توفي سنة 216.

حدثنا همام: أبو عبد الله، همام بن يحيى بن دينار الأزدي العوذي، من كبار الأتباع، روى عن أنس بن سيرين، وبشر بن حرب، وحجاج بن أرطأة بن ثور، والحسين بن ذكوان وخلق غيرهم، وروى عنه بشر بن السري وبهز بن أسد، وحبان بن هلال، وحجاج بن المنهال وغيرهم، قال عنه أحمد بن حنبل: ثبت في كل المشايخ، وقال يحيى بن معين: ثقة صالح، وقال محمد بن سعد: ثقة، وقال العجلي: ثبت، توفي سنة 164.

حدثنا قتادة: هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز الحافظ العلامة السدوسي البصري الضرير الأكمه المفسر، قال ابن سيرين قتادة أحفظ الناس، وقال أحمد بن حنبل قتادة عالم بالتفسير وباختلاط العلماء ووصفه بالحفظ والفقه وأطنب في ذكره وقال: قل من تجد أن يتقدمه، وقال همام سمعت قتادة يقول ما أفتيت بشيء من رأي منذ عشرين سنة قال سفيان الثوري أو كان في الدنيا مثل قتادة، وقال معمر قلت للزهري أقتادة أعلم عندك أو مكحول قال: بل قتادة. وعن عمران ابن عبد الله قال لما قدم قتادة على سعيد بن المسيب جعل يسائله أياما وأكثر قال فقال له سعيد: أكل ما سألتني عنه تحفظه: قال نعم سألتك عن كذا فقلت فيه كذا وسألتك عن كذا فقلت فيه كذا وقال فيه الحسن كذا قال حتى رد عليه حديثا كثيرا قال سعيد ما كنت أظن أن الله خلق مثلك. مات بواسط في الطاعون سنة 118 وقيل سنة 117 وله سبع وخمسون سنة.

حدثنا أنس بن مالك: هو أنس ابن مالك الأنصاري من قبيلة الخزرج، كناه النبي (ﷺ) بـ " أبي حمزة " لما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة، ذهبت أم أنس . أم سليم . إلى رسول الله (ﷺ) ومعها ولدها أنس فقالت: يا رسول الله خذ هذا غلاما يخدمك فقبله، وكان عمره حينئذ عشر سنين واستمر في خدمته، ولم يسمع منه: أف مطلقا، ولم يؤنبه عن شيء فعله لم فعلته؟ ولا عن شيء تركه لم تركته؟ إلى أن توفي (ﷺ) وهو عنه راض، ولقد دعا له النبي (ﷺ) بطلب من أمه، وكان مما قال: " ... اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه. فقال أنس: فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم. " رواه مسلم.

وكان . رضي الله عنه . يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما، وكان إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته ودعا لهم وغزا مع النبي (ﷺ) ثمان غزوات وأقام بالمدينة وشهد الفتوح ثم سكن البصرة ومات بها سنة ثلاث وتسعين (93) هـ وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة، روي له ألفان ومائتان حديث وستة وثمانون (2286) حديثا.

أهمية الحديث :

هذا حديث يحبه كل مؤمن، لما فيه من تكريم وحب للتائبين من قبل رب العالمين، أن تفرح بالطاعة أمر عادي، لكن أن يفرح الله بعملك، فذا أقضى ما قد يتمناه العبد في دنيا، ولا شيء يحقق ذلك للعبد الصالح، إلا التوبة والأوبة لربة تبارك وتعالى.

مفردات الحديث :

" سقط على بعيره ": أي صادفه وعثر عليه من غير قصد فظفر به

" وقد أضله ": أي ذهب منه بغير قصده، قال ابن السكيت: أضللت بعيري أي ذهب مني، وضللت بعيري أي لم أعرف موضعه.

" بفلاة " أي مفازة وهي الأرض التي ليس فيها ما يؤكل ولا يشرب.

المعنى العام

1 . التوبة مظنة حب الله لعبده: إن الله تعالى وتبارك يحب توبة عبده، لذا عليه أن يتوب بعد كل ذنب أو معصية، لحبه ربه، وليس ذلك فحسب بل عليه أن يجدد التوبة مرة أخرى، (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) (سورة البقرة: 222)، فالتواب هو الذي يجدد التوبة مرة بعد أخرى وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " إني لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة" رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإذا كان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الاستغفار والتوبة وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكم علينا أن نستغفر الله؟ ومع ذلك تجد بين المسلمين من يغفل عن ذلك نسيانا أو إهمالا أو استهانة، بل الأخطر والأدهى أن يظن أنه في درجة كمال، تجعله يستغني عن ذلك وإذا قلت له: تب إلى ربك، أسمعك ما لا يرضيك، وما يدهشك، وهذا النوع . والعياذ بالله تعالى . لا يستفيد بهذا الحديث وغيره، فقد ختم الله على قلبه.

2. شروط التوبة: للتوبة شروط حددها علماؤنا رحمهم الله ورضي الله عنهم، فإن كانت متعلقة بأمر هو لله فقط فشروطها ثلاثة هي الإقلاع عن الذنب والعزم الأكيد على عدم العودة فيه والندم على فعله. أما إذا كانت متعلقة بحق آدمي فلها شرط رابع هو أن يسترضي صاحبها. ولا تتم التوبة إذا فقد أي شرط من شروطها.

3. التوبة والاستغفار دأب الصالحين: إن حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (سورة إبراهيم: 34) "ولكن على المؤمن أن يصبح تائبا ويمسي تائبا. التوبة والاستغفار دأب الصالحين فقد سبقهم إلى ذلك الأنبياء والمرسلون. فآدم وحواء عليهما السلام: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (سورة الأعراف:23). ويونس عليه السلام: (فنادى، في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (سورة الأنبياء:87). والإنسان معرّض في حياته إلى النسيان والوقوع في الأخطاء، فكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوّابون. وكلما كان استدراك الخطأ أسرع، كلما كان ذلك أفضل. فإذا أعقب الذنب استغفارا سريعا، كان ذلك أدعى لقبول التوبة.

إن الأرض لتشهد لأي عمل يُرتكب عليها فهي تشمئز من ذنوب العباد، وتطرب فرحا بالأعمال الصالحة فتشهد له بذلك يوم القيامة، فعلى المرء أن يحرص على أن لا يترك أرضا عمل فيها بمعصية الله إلا بعد أن يتبع ذلك بطاعة لله فيها، (إن الحسنات يذهبن السيئات) (سورة هود: 114). وقال صلى الله عليه وآله وسلم: " أتبع السيئة الحسنة تمحها" رواه الترمذي وأبو داود عن أبي ذر الغفاري.

وعلى المسلم أن يعلم أن من الذنوب ما تكون عاقبته للمرء خيرا من الطاعات، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة "، قيل يا رسول الله، كيف ذلك؟ قال: " تكون نصبَ عينيهِ، تائبا منه فارًا، حتى يدخلَ الجنة " رواه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، فالمؤمن ليس ملكا ولا نبيا معصوما من الخطايا لكنه يقظ يعمل جهده في أن لا يعصي ربه، فإذا أذنب أو أخطأ تاب وأناب فيكون ممن يحبهم الله تعالى.

4. للاعتبار: وما أجمل تلك الحكاية التي ساقها ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين حيث قال: " وهذا موضع الحكاية المشهورة عن بعض العارفين أنه رأى في بعض السكك باب قد فتح وخرج منه صبي يستغيث ويبكي، وأمه خلفه تطرده حتى خرج، فأغلقت الباب في وجهه ودخلت فذهب الصبي غير بعيد ثم وقف متفكرا، فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه، ولا من يأويه غير والدته، فرجع مكسور القلب حزينا. فوجد الباب مرتجا فتوسده ووضع خده على عتبة الباب ونام، وخرجت أمه، فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه، والتزمته تقبله وتبكي وتقول: يا ولدي، أين تذهب عني؟ ومن يأويك سواي؟ ألم أقل لك لا تخالفني، ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك. وإرادتي الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت".

يا لروعة التمثيل، ولله المثل الأعلى، فيا أيها المذنب، المقصر في حق الله تعالى، اعلم. رحمك الله. أنه لا ملجأ ولا منجى لك منه إلا إليه، فعد، واطرق بابه، فإنه التواب الرحيم، الجواد الكريم، لا تكن من الغافلين، وكن من الراشدين، واعلم أن باب التوبة مفتوح لك ولغيرك من الشاردين، فكن من السباقين وتصالح مع ولي نعمته، وقابل توبتك، وساتر ذنوبك ومعاصيك، قال تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) (سورة الزمر: 53).

حين تقع في المعصية وتلم بها فبادر بالتوبة وسارع إليها، وإياك والتسويف والتأجيل فالأعمار بيد الله عز وجل، وما يدريك لو دعيت للرحيل وودعت الدنيا وقدمت على مولاك مذنبا عاصي، ثم إن التسويف والتأجيل قد يكون مدعاة لاستمراء الذنب والرضا بالمعصية، ولئن كنت الآن تملك الدافع للتوبة وتحمل الوازع عن المعصية فقد يأتيك وقت تبحث فيه عن هذا الدافع وتستحث هذا الوازع فلا يجيبك.

لقد كان العارفون بالله عز وجل يعدون تأخير التوبة ذنبا آخر ينبغي أن يتوبوا منه قال العلامة ابن القيم " منها أن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه التوبة من التأخير، وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر ".

ولنسأل التواب الرحيم، الجواد الكريم، أن يجعلنا جميعا، من التوابين الأوابين لله رب العالمين.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

التحذير من تضييع الوقت بمناسبة عطلة الصيف

اعداد الأستاذ. العربي المودن

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. بعثه بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا، من يطع الله ورسوله فقد رشد واهتدى ....

الخطبة الأولى

أما بعد،

يقول الله عز وجل في كتابه من سورة إبراهيم «قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة، وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية، من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال » الآية (31).

❖❖❖

أيها الناس في ضوء هذه الرسالة الخالدة نحس بمشكلة من مشكلاتنا الحيوية. ألا وهي مشكلة الانتفاع بالوقت. فاتقوا الله واعلموا أن الوقت الذي تعيشونه في هذه الدنيا لا يقدر بثمن، فاحفظوه فيما ينفعكم في دنياكم وآخرتكم، ولا تضيعوه باللهو واللعب والغفلة فتخسروا الدنيا والآخرة فهذا العمر الذي تعيشه أيها العبد هو مزرعتك التي تجني ثمارها في الدار الآخرة. فإن زرعته بخير وعمل صالح، جنيت السعادة والفلاح، وكنت من الذين ينادي عليهم في الدار الباقية (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية)وإن ضيعته في الغفلات، وزرعته بالمعاصي والمخالفات، ندمت يوم لا تنفعك الندامة. وتمنيت الرجوع إلى الدنيا يوم القيامة، فيقال لك: (أو لم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير، فذوقوا فما للظالمين من نصير) أيها المسلمون: صح عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسمه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ما عمل به، فهذا العمر هو أعز شيء لديكم، فلا تضيعوه، ولا تفرطوا فيه. فإن الله جلت قدرته، جعل في كل يوم وظائف لعباده من وظائف طاعته، فمنها ما هو فرض كالصلوات الخمس، ومنها ما هو نافلة كنوافل الصلوات، والذكر وغير ذلك. وجعل سبحانه للشهور وظائف كالصيام والزكاة والحج. ومن هذه العبادات ما هو فرض وما هو نافلة، وجعل سبحانه لبعض الأوقات فضلا على بعض، في مضاعفة الحسنات وإجابة الدعوات، كالأشهر الحرم وشهر رمضان. وعشر ذي الحجة. وليلة القدر، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وما من موسم من هذه المواسم إلا ولله نفحة من نفحاته، يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات. وتقرب فيها إلى الله بأنواع الطاعات. فعسى أن تدركه نفحة من تلك النفحات، فيسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا.

❖❖❖

روى الإمام أحمد بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي (ﷺ) أنه قال: (ليس من عمل يوم إلا ويختم عليه). وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مجاهد قال: ما من يوم إلا يقول ابن آدم قد دخلت عليك اليوم، ولن أرجع إليك إلى يوم القيامة، فانظر ماذا تعمل فيّ، فإذا انقضى طواه، ثم يختم عليه، فلا يُفك حتى يكون الله هو الذي يفك ذلك الخاتم يوم القيامة. ويقول اليوم حين ينقضي: الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها. ولا ليلة تدخل على الناس إلا قالت كذلك، وقد كان عيسى عليه السلام يقول: إن الليل والنهار خزانتان، فانظروا ماذا تضعون فيهما. وكان عليه السلام يقول: اعملوا الليل لما خلق له، واعملوا النهار لما خلق له. وعن الحسن رضي الله عنه أنه قال: ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم يقول: يا أيها الناس إني يوم جديد، وإني على ما يعمل فيّ شهيد، وأني لو قد غربت الشمس لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة. وعنه أنه قال: اليوم ضيفك، والضيف مرتحل يحمدك أو يذمك.

❖❖❖

أيها المسلمون: إن الله سبحانه قد أمر بشغل الأوقات بذكره وطاعته، قال تعالى: (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار). وقال: (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة، ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين). وقال: (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون).

❖❖❖

أيها المسلمون: إنه بمناسبة بداية العطلة الصيفية أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وحفظ أوقات هذه العطلة فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة، وإعطاء الجسم فيها قسطا من الراحة الخالية من الإثم، وعليكم بملاحظة أولادكم وتوجيههم إلى استغلال هذه العطلة فيما يعود عليهم بالنفع، فالناس في هذه العطلة ينقسمون إلى أقسام، فمنهم الرابح فيها، ومنهم الخاسر (وكل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) فمنهم من يقيم في بلده يقضيها بتعليم أولاده القرآن الكريم، ويحضرهم إلى المسجد لصلاة الجماعة، ويراقب حضورهم وغيابهم، ويتعاهد حفظهم وتحصيلهم، ويلزمهم بأداء الصلوات الخمس مع الجماعة، فهذا قد نصح أولاده، وحفظ أمانة الله فيهم، ويسعى في إصلاحهم ليكونوا عونا له في الحياة، وخلفا وذخرا له بعد الممات، قد قام بالواجب، وبذل الأسباب، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

❖❖❖

. والبعض يسافر لزيارة أقاربه وصلة أرحامه، ويقضي العطلة معهم وعندهم لتقرّ أعينهم به، ويؤدي حقّهم عليه. فهذا مأجور، وقد استفاد من وقته وأدى ما عليه.

. والبعض يسافر للنزهة في داخل البلاد، يقضي وقته في ناحية من نواحيها محافظا على دينه، فعمله هذا مباح لا لوم عليه فيه.

❖❖❖

. والبعض يقضي العطلة في اللهو واللعب، وترك الواجبات، وفعل المحرمات. أو يسافر إلى بلاد الكفر والفجور، والعهر والخمور، لينغمس في أوحال الضلالة، ويتربى في أوكار السفالة، يقضي وقته بين لهو ومزمار، ولعب ميسر ومسرح وحانة خمار، وربما يستصحب معه زوجته وأولاده، ليأخذوا حظهم من الشقاء. فتخلع المرأة لباس الستر والحياء، وتلبس لباس الكفر والمروق. فهذا الذي قد ضيع الزمان، وباء بالإثم والخسران، وسوف يندم عما قريب إن لم يتب إلى ربه.

اللهم اجعلنا من التائبين.

الخطبة الثانية

أيها المسلمون: إن الإحساس بالزمان يتفاوت من شخص إلى آخر، كما يختلف من أمة إلى أخرى، ولم يعرف التاريخ أمة قدس دستورها الزمان، وعظم شأن الوقت، كهذه الأمة المحمدية التي حدثها الله سبحانه دائما عن نفسه وعن خلقه، حديثا مقيسا بكل دقة، وذلك على سبيل التربية. كما هو من باب وصف نظام الكون (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت).

❖❖❖

وحدث سبحانه عن تسجيل أعمال الخلائق، فذكر أن ذلك يتناول كل جزئية من أعمارهم، حتى ما لا يتصورون أنه يدخل في حساب (ووُضع الكتابُ فترى المجرمين مشفقين مما فيه، ويقولون يا ويلتنا، ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها).

❖❖❖

هذه هي الدقة الإلهية التي حكاها الله عز وجل لعباده كي يتعلموا منها دروس الحساب، الذي يضبط حياتهم، ويرفع شأنهم، ويدعم وجودهم، ويجعلهم بحق أمة وسطا، شهداء على الناس.

❖❖❖

أيها الناس: إن الدقائق والثواني في أعمار الأمم، وفي حياة الأفراد، لها وزن وحساب، فالساعات الطويلة ليست في حقيقتها سوى دقائق وثوان، وضياع الثواني هو في حقيقة الأمر ضياع لتلك الساعات، التي ينقضي بمرورها عمر الإنسان، وينتهي بها كفاحه من أجل الحياة، ومن أجل التقدم، ومن أجل الآخرة. والواقع أن الثروة التي يجمعها أي إنسان مكافح ليست سوى كمية من الزمان تحولت إلى ذهب، وكان من الممكن أن تتحول إلى شخير ينطلق من صدر نائم خامل، أو شهوة خاطفة تمضي، وتخلق لصاحبها حسرة العمر على الضياع والغفلة وعذاب الضمير، وحساب الآخرة.

❖❖❖

على حين يسهر أعداؤنا ويكدحون في كل دقيقة، بل في كل ثانية من أجل تحصيل أسباب القوة. ومن أجل فرض سيطرتهم على مصاير العرب والمسلمين. فنحن نضيع السنين ولا نحس بمرورها، وهم يحاسبون أنفسهم على الثواني مخافة أن تمضي دون إنتاج، لأن الزمن جزء من تقدمهم ونجاحهم، كما هو جزء من ضياعنا وفشلنا، ونحن المسلمين مأمورون بأن نحافظ على الوقت. وأن نعمل حساب المستقبل. في نصوص عقيدتنا، وفي سلوك أسلافنا، وفي شعائر ديننا الحنيف.

❖❖❖

أيها الإخوة، أيها الأبناء أيها الشباب. أيها الآباء.

❖❖❖

كم من الساعات والأيام والسنين تضيع في حياة هذه الأمة على المقاهي؟ وفي البارات؟ وفي ضروب اللهو؟ وفي فنون الرخاوة والتهتك؟ وعلى الشواطئ في صفة تستحيي منها الرمال والصخور والأمواج؟ وفي النوم والكسل؟ والفوضى والثرثرة داخل البيوت؟ والمكاتب والدواوين ! وفي حفلات الأعراس الصاخبة الماجنة؟ وغير ذلك.

❖❖❖

في حين يسهر أعداؤنا ويكدحون في كل دقيقة وثانية من أجل تحصيل أسباب القوة، ومن أجل فرض سيطرتهم على مصاير العرب والمسلمين.

❖❖❖

ونحن المسلمين مأمورون بالمحافظة على الوقت وأن نعمل حساب المستقبل في نصوص عقيدتنا وفي سلوك أسلافنا، وفي شعائر ديننا الحنيف. اللهم اجعلنا من المحافظين على أوقاتنا.

في رسم بعض حروف التنزيل

الأستاذ الحافظ سيدي إبراهيم بن أبي جمعة

الحلقة الأولى

■ جواب العالم الأستاذ الجامع الفقيه النجيب الحافظ المدرس اللبيب سيدي إبراهيم بن أبي جمعة الشرفي نازل تِيسِيطا بواد درعة، حفظه الله، وأكرم مثواه، لتلميذه الحافظ النجيب النبيه الجامع المحصّل الفقيه سيدي عبد الرحمن بن عبد الكريم المرابط الدرعي، سدده الله وبارك في معناه، ونصه:

❖❖❖

الحمد لله تعالى، اسعدكم الله وسددنا وإياكم لمرضاته، بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فقد وصل إلي مكتوبكم، وتتبّعتُ بعض ما ذكرتموه من طلب الجواب في رسم بعض حروف التنزيل، فإنا بمعزل عن الجواب عنها الجلي والخفي، الكثير والقليل، ولكن من منّ عليكم بالظن الجميل يمن علينا بالأصابة والتحصيل إذ هو حسبنا ونعم الوكيل.

❖❖❖

فأقول والله المستعان.

أما ما ذكرتم من أن الألف الملفوظ به كلمة الرحمن الموجودة في البسملة في الفواتح، هل تناوله كلام الشيخ أم لا؟ فالجواب عن ذلك، اختلف العلماء فيها هل هي آية من كل سورة؟ أو آية من البسملة فقط، والقولان لمحمد بن إدريس الشافعي، أو ليست بآية من القرآن، لا من الفاتحة ولا من غيرها، وهو قول مالك.

❖❖❖

فإذا أخذنا بقول من يقول من أصحاب الشافعي أنها آية من كل سورة، فلا إشكال في تناول كلام الشيخ إياها، وإن أخذنا بقول من يقول بالتفرقة من أصحاب الشافعي أيضا إنها آية من الفاتحة فقط، وليست بآية من غيرها وهو المشهور عندهم أعني عند الشافعية فتحذف الألف من البسملة التي في أول الفاتحة، ولا إشكال في تناول كلام الشيخ لها أيضا، لكونها من القرآن.

❖❖❖

وأما إذا أخذنا بقول مالك أنها ليست من القرآن مطلقا لا من الفاتحة ولا من غيرها، فقيل إن كلام الشيخ يتناولها بالجمل على ما في القرآن، لأن البسملة اكتفتها سور القرآن، وهو عمّم في العبارة حين قال حيث أتى وما قرب من الشيء فله حكمه، ويقوي هذا قوله في صدر الكتاب فينبغي لأجل ذلك أن نقتفي البيت، والاتفاق بل الإجماع على أن البسملة موجودة في المصحف، وأن الألف التي بعد الميم من الرحمن لم يوجد، والشيخ أطلق في الحذف كما ترى.

❖❖❖

وقيل إنما حذف الرحمن في الفواتح من كلام الشيخ على قول من لم ير أنها من القرآن، وهو مالك، وذلك لأن الشيخ لما أن قال في أول الترجمة من فاتحة الكتب وشرع في البيت الثاني الذي فيه ذكر الرحمن، كأنه رأى أن الغاية التي ذكر أعني من فاتحة الكتب لم يتناول البسملة، فقال حيث أتى في جملة القرآن وبأول القرآن بالمصحف، وإلا فلا فائدة، للحيثية في قوله، حيث إذا لم يلغ نكرة في القرآن حيث يقال أراد النكرة والمعرفة، ولا يقال أراد تعدد المواضيع التي في القرآن كالرحمن علم القرآن. الرحمن على العرش استوى، إلى غير ذلك لأنه التزام أن الكلمة إذا تكررت وكأن حكمها واحدا، فإنه يكتفي بذكر الأولى، وهو قوله وفي الخ كرر منه اكتفى البيت.

❖❖❖

كقوله وحذفوا ذلك البيت، فلو لم يقصد الشيخ دخول البسملة لقال وللجميع الحذف في الرحمن، وتحذف ألف الرحمن، حيث تجده غير ما في الفواتح، ولا يقال لم يبذل الشيخ الغاية، حيث تذكر بالبسملة، لأنه لم تحضر له استقامة البيت، إلا مع الفاتحة حينئذ، والضرورة إنما تعتبر في الحال لا في المآل.

❖❖❖

وكان شيخنا العالم العلامة فريد دهره ومقدم أهل زمانه أبو عبد الله سيدي محمد مجبر نظر الله ضريحه في الفواتح بقي على الشيخ أبي محمد الخرازي وعلى هذا القول خرج كثير من قراء مدينة فاس عمرها الله بالذكر، أعني سيدي مجبر رحمه الله يحكي لنا عن شيخه أبي عمران سيدي موسى الزواوي أن الخرازي راعى القول بأنها اية من القرآن، وكان هذا القول يحكي عن الشيخ سيدي محمد بن غازي رحم الله الجميع.

❖❖❖

ووجدت أيضا منسوبا لابن غازي بعد كلام استحسن دخوله تحت كلام الخراز ما نصه: وهو أظهر لسلامته من الاعتراض انتهى. والكلام في لفظة الجلالة من البسملة كالكلام في لفظة الرحمن والله أعلم.

❖❖❖

وأما تمثيل الشيخ بالعالمين والصديقين في سؤالكم هل قصد الجميع وما ألحق به فقط، أو قصد كل ما كان على الوزر كحفظون من قوله تعالى (وإنا له لحفظون وكفى بنا حسبين).

فالجواب عن ذلك في أن في كلام الشيخ رحمه الله تدافعا، لأن تمثيله بالعلمين والصدقين هنا يعطي أنه قصد الجمع الحقيقي. وما ألحق به.

❖❖❖

ثم قوله بعد ذلك من سالم الجمع يدفع هذا القصد لأن العالمين مباين لحقيقة الجمع السالم لكونه له من لفظه، وقيل إن الشيخ قصد بتمثيله بالعالمين أنه جمع لا ملحق بالجمع لأن فيه خلافا ذهب الزمخشري في أحد قوليه وغيره إلى أنه جمع عالم أريد به من يعقل، فيكون الشيخ ممن يقول بهذا القول، فقوله إذا من سالم الجمع لا يدفع ما تقدم ويقوي هذا القول أعني من يقول إنه جمع لا ملحق بالجمع، ذكر الشيخ الملحقات بعد هذا حيث ذكر ثمانين وثلاثين، وقيل إنما قصد الشيخ بالمثالين الوزر، ولم يتعرض للتفصيل، أي كون هذا للفظ جمعا وهو ملحق، وفي هذا مفردٌ على صيغة الجمع، ولا يقال إذا كان مراده فلم قال من سالم الجمع إنما خصّ الجمع لكثرته وقلة غيره، وإنما ذكر ثمانين وثلاثين بعد هذا ليرفع التوهم الذي يحتمله من سالم الجمع، ولا يقال لمَ لم يذكر خمسين ونحوه. ليرفع التوهم لأن لفظ خمسين ونحوه تصدق عليه حقيقة الجمع حيث يراعي اللفظ دون المعنى، فتقول حسب وحفظه، والعربية موردها الألفاظ، ألا ترى أنهم منعوا لفظ حمزة وطلحة من العرف للتأنيث الموجود في اللفظ مع أن مسماه مذكّر؟

❖❖❖

والحاصل أن الشيخ إنما قصد الوزر لا غير، فيدخل فيه المفرد في المعنى والملحق، وإنما ذكر ثمانين وثلاثين بعد هذا اقتداء بأبي عمرو الداني، والكلام هنا طائل جدا، ولكن هذا كاف على جهة الاختصار والله أعلم.

❖❖❖

وأما مالئون فاضطرب الأشياخ في رسمه، والذي كنا نأخذ به عن شيخنا سيدي محمد مجبر رحمه الله الأثبات، وكان يقول رحمه الله يؤخذ ذلك من كلام الخراز لأنه خصّص الحذف بخطئين وخطئون غير الأولى من يوسف، وهو مثله في الوزن والحكم فهو ثابت محمول على خطئين المستثنى أعني الأول من سورة يوسف إذ لو كان مالئون محذوفا عنده لذكره بالحذف، إذ بالوجه الذي ذكر خطئين بالحذف يلزمه أن يذكر مالئون، وقيل محذوف لدخوله في عموم الجمع، والمشهور الذي عليه المعوّل الإثبات وهو منسوب لأبي داوود، وعليه العمل ويقوى الإثبات تخصيص الشيء الحذف بما كان فهو وزنا وحكما، إذ بالإثبات مأخوذ من كلام الشيخ أعني من قوله وعند حذف خطئين البيت والله أعلم .

وأما صرط فالمشهور الحذف لكونه موجودا في كثير من المصاحف بغير ألف وعليه العمل.

❖❖❖

وأما سوءات ففيه وجهان على حد السواء، واختار أبو داوود أبي عمرو في قوله، وعنهما روضات البيت لم تصح بل الخلاف موجود لابن نجاح دون الداني والموجود للداني فيهما الإثبات والله أعلم.

وأما بينت منه وفكهون وكتبين وءايت للسائلين فالمشهور الذي عليه عمل من أدركناه من الشيوخ الحذف في الكلمات الأربع.

❖❖❖

وأما فذانك برهنن، فالذي كنا نفهمه عن الشيوخ وهو منسوب إلى سيدي محمد المصمودي إذ دخوله في قوله وحذفوا ذلك أولى لأنه لو أدخلناه في باب المثنى لتوهم فيه الخلاف لأبي داوود لأنه أطلق الخلاف في باب التثنية، وهو أعني أبا داوود يقول بحذف ألفه من غير خلاف، وقد أحسن الشيخ بن ءاجطا رحمه الله حيث مثل به هناك أعني حين أخذ في شرح قول الشيخ وحذفوا ذلك، وقيل بقي على الشيخ أن ينبه عليه لأن حقيقة التثنية مباينة كغيرها، والعمل على الأول والله أعلم.

❖❖❖

وأما التثنية على ظاهر كلام الخراز فقد عمم الخلاف فيها لأبي داوود حيث قال واختلف لابن نجاح فيه بعد أن ذكر أن ألفها محذوف لأبي عمرو، وحيث قال وبطل من قيل ما كانوا معاً مع المثنى إلا تكذبان بعد ذكره له بالخلاف أعني لأبي عمرو، فقال ثم الداني قد جاء عنه في تكذبان فقد بان لك أن الشيخين اتفقا في الخلاف في تكذبان واختلفا في غيره، فأبو داوود له فيها قولان، ورجح الإثبات وأبو عمرو لين له فيها إلا الحذف، ألا تكذبان كما سبق فيرد مذهب الداني إلى أحد القولين لأبي داوود فيتقوى الحذف في ألف التثنية، وعليه العمل أي على الحذف، والعمل في تكذبان على الإثبات لأن كل واحد له فيه قولان من الشيخين، وقد رجّح أبو داوود الإثبات في باب التثنية، فرُجّح الحذف في غير تكذبان لتصريح الداني بالحذف من غير خلاف ورجح في تكذبان الإثبات، وفي باب التثنية تفصيل من خارج لا يسعه الوقت، وهذا ظاهر كلام الشيخ والله أعلم.

أعده للنشر: ادريس كرم

ابتهال

■ ذ. مصطفى النجار

إني رفعت إليك كف دعاء ❖❖❖❖ متضرعا يا أرحم الرحماء
وقصدت بابك سائلا متوسلا ❖❖❖❖ لك بالصفات وأعظم الأسماء
ونثرت دمعي والظلام مخيم ❖❖❖❖ والكون أغفى أيما إغفاء
والقلب من هول الهواجس خافق ❖❖❖❖ والجسم مني واجف الأعضاء
والحزن قد ملأ الحنايا رهبة ❖❖❖❖ مما عرانيَ من أليم الداء
فاقبل دعائيَ يا كريم تكرما ❖❖❖❖ واكشف بلطفك يا رحيم بلاء
واسمع ندائيَ يا سميع بحق من ❖❖❖❖ أحببتهم من جلة العلماء
وافتح لي باب رضاك يا رب الورى ❖❖❖❖ واجعل رجائيَ فيك خير رجاء
وافض على جسمي ملابس صحة ❖❖❖❖ مشمولة بسلامة وهناء
وامنن بتيسير الأمور تفضلا ❖❖❖❖ وقني شرور تعاسة وشقاء
وارزقني يا رزاق رزقا واسعا ❖❖❖❖ أكسى به في الناس خير رداء
واحفظني من شر الزمان وأهله ❖❖❖❖ واحرسني يا رب من الأعداء
واردد كيود الكائدين في نحرهم ❖❖❖❖ وأدرْ عليهم سيئ الأسواء
واقض الحوائج كلها يا ربنا ❖❖❖❖ فلأنت ربي أكرم الكرماء
والطف بعبدك والعباد جميعهم ❖❖❖❖ في حالة السراء والضراء
واغمر بعفوك يا عفو جدودنا ❖❖❖❖ والأمهات وسائر الآباء
وانشر على أبنائنا وبناتنا ❖❖❖❖ سترا يدوم بعزة ورخاء
وأجب دعاءنا يا مجيب بحق من ❖❖❖❖ نال المواهب ليلة الإسراء
نور الهدى بدر الكمال محمد ❖❖❖❖ صلى عليه الله ذو الآلاء
والآل والأصحاب ما داع دعا ❖❖❖❖ والتابعين السادة الفضلاء
والسائرين على محجة نهجهم ❖❖❖❖ في القول والأفعال والآراء
فهم الهداة لمن أراد هداية ❖❖❖❖ والسالكون مناهجَ الحنفاء
فبهم وما لهم لديك من الرضا ❖❖❖❖ يا رب سلمنا من الأدواء
واختم بخير يا كريم حياتنا ❖❖❖❖ واجعلنا يا رب من السعداء

نقد بعض الأبيات لقصيدة الشيخ الصوفي عبد القادر الجيلاني

■ للأستاذ : امحمد بن احمد الأمراني

الحلقة الأخيرة

الملاحظة الثانية: هي قوله : فاحكم بقدرتي، هذه مبالغة غير مقبولة شرعا وعقلا ، وهنا ينبغي التذكير بقول الله تعالى في آخر سورة، يس، « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، واذن فلا حول ولا قوة إلا لله العلي العظيم.

الملاحظة الثالثة: تتعلق بقوله:

واصبحت بالواد المقدس جالسا
على طور سينا قد سموت بخلعتي

هكذا، وقد وردفي سورة « طه» إن الله تعالى خاطب سيدنا موسى عليه السلام بقوله:«إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى » قال القرطبي : « أمر موسى بخلع النعلين للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالى، وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت، وقيل: اعظاما لذلك الموضع، كما ان الحرم لا يدخل بنعلين اعظاما له....»

« وقد كان مالك لا يرى لنفسه ركوب دابة بالمدينة برا بتربتها المحتوية على الأعظم الشريفة والجثة الكريمة ، والمقدس ، المطهر، والأرض المقدسة : المطهرة ، وقد جعل الله لبعض الأماكن زيادة فضل على بعض ، كما قد جعل لبعض الأزمان زيادة فضل على بعض ولله أن يفضل ما شاء» هـ.

وقال تعالى في سورة « التين» : « والتين والزيتون وطور سنين» قال القرطبي نقلا عن عكرمة: طور سنين « الجبل الذي نادى الله جل ثناؤه منه موسى عليه السلام هـ .

فهل مزار الشيخ عبد القادر الجيلاني بلغ من التقديس والتعظيم مثل ما بلغ تقديس وتعظيم الوادي المقدس وطور سينين ، لدرجة أن من أراد زيارته عليه أن يخلع نعليه لأنه بمثابة الحرم؟ اللهم إن هذه المبالغة غير مقبولة شرعا وعقلا.

والملاحظة الرابعة: تتعلق بقوله:

وعاينت إسرافيل واللوح والرضى،

إسرافيل اسم ملك من الملائكة كجبريل وميكائيل ، روى عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل أعوذ بك من حر النار وعذاب القبر» أما اللوح فقد ورد في آخر سورة « البروج» قوله تعالى : « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» قال القرطبي : « أي مكتوب في لوح وهو محفوظ عند الله تعالى» من وصل الشياطين إليه، وقيل : اللوح المحفوظ الذي فيه أصناف الخلق والخليقة وبيان أمورهم وهوأم الكتاب ، وقال ابن عباس : أول شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ : « إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسولي ، من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ، ومن لم يستسلم لقضائي ، ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ إلاها سواي»

فهل خص الله تبارك وتعالى هذا الولي بميزة هي معاينته للملك إسرافيل مع أن الملائكة محجوبون عن البشر، وكذلك رؤيته للوح المحفوظ ،. مع أن الله تبارك وتعالى هو وحده المطلع على ما فيه ، هذه أيضا مبالغة غير مقبولة شرعا وعقلا.

الملاحظة الخامسة تتعلق بقوله:

وشاهدت ما فوق السماوات كلها كذا
العرش والكرسي في طي قبضتي يقول

الله تعالى في سورة « البقرة » « الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » قال القرطبي:

« ذكر ابن عساكر في تاريخه عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكرسي لؤلوة والقلم لؤلؤة ، وطول القلم سبعمائة سنة ، وطول الكرسي حيث لا يعلمه إلا الله ، وروى عن ابن مسعود قال: « بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين ما أنتم فيه وعليه، وقال ابن عباس : كرسيه علمه، ثم قال القرطبي:

« والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش اعظم منه ، وقال مجاهد: ما السماوات والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض فلاة ، وهذه الآية منبئة عن عظيم مخلوقات الله تعالى، ويستفاد من ذلك عظم قدرة الله عز وجل، إذ لا يثقله حفظ هذا الأمر العظيم، واذن فالعرش والكرسي من اعظم مخلوقات الله تعالى ، ومن مظاهر قدرته الباهرة،قال تعالى في سورة «الأعراف» :«إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش » قال القرطبي : « لم ينكر أحد من السلف الصالح انه استوى على العرش حقيقة ، وخص العرش بذلك لأنه اعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته ، قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم . يعني في اللغة . والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة » وكذا قالت ام سلمة رضي الله عنها ، واستوى اي علا وارتفع ، فعلو الله تعالى وارتفاعه عبارة عن علو مجده وصفاته وملكوته ، أي ليس فوقه فيما يجب له من معاني الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه، لكنه العلي بالإطلاق سبحانه هـ

فكيف يصح عقيدة أن يكون هذان المخلوقان العظيمان في طي قبضته الولي المخلوق المحدود القدرة؟

الملاحظة السادسة تتعلق بقوله:

وكل بلاد الله ملكي حقيقة
واقطابها من تحت حكمي وطاعتي

اعتقد أن هذه مبالغة لا تحتاج إلى تعليق ونقد ، إذ كيف تكون بلاد الله واقطابها وكبارها تحت حكم ولي وطاعته ، هل اصبحت الألوهية والربوبية مشتركة بين الله تعالى وبين هذا الولي؟؟

الملاحظة السابعة تتعلق بقوله:

ومطلع الشمس الأفق ثم مغيبها
واقطار أرض الله في الحال خطوتي

هل أعطى الله القوي هذا الولي قدرة خارقة للعادة تجعله ينتقل في أقطار الله وارجائها بخطوة واحدة؟ هذه مبالغة تضاف إلى المبالغات السابقة، وهي غير مقبولة شرعا وعقلا.

الملاحظة الثامنة تتعلق بقوله:

مريدي إذا ما كان شرقا ومغربا
اغثه إذا ما كان في أي بلدة

وقبل التعليق على هذا البيت ينبغي التذكير بالمقصود من« المريد» يقول الشيخ العارف الإمام المحقق الولي الشهير محمد بن احمد بن محمد التونسي المدعو بأبي المواهب في كتابه المخطوط بخزانة المسجد الأعظم بتازة المسمى« رسالة حكم الأشواق إلى كل الصوفية بجميع الآفاق» معرفا ببعض الاصطلالحات الصوفية مثل : الصالح والخلوة والعزلة، والمريد هو من فنيت حظوظه النفسية وخمدت شهواته البشرية ، المريد من قام بمرسوم الآداب بعد تصحيح مقام المتاب».

كما ينبغي التذكير ان من مظاهر العبادة الاستعانة بما لا يقدر عليه الا الله تعالى كما قال في سورة « الفاتحة » : « إياك نعبد وإياك نستعين» أي لا نعبد إلا الله المخصوص وحده بالعبادة ، ولا نستعين إلا بالله القوي العزيز.

ومن مظاهر العبادة الاستغاثة التي هي طلب الغوث والنصر، قال الله تعالى في سورة « الأنفال» : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم».

« في هذه الآية اخبر الله تعالى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد عليهم الأمر في غزوة بدر كانوا يستغيثون بالله، والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر معهم يستغيث بربه ، ولم يستغيثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو حاضر معهم، لأن الاستغاثة عبادة والعبادة لا تكون إلا لله ، روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف واصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا ، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثم مد يده فجعل يهتف بربه «اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم ائتني ما وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبلا القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فالقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال :يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى « إذ تستغيثون ربكم » الآية

واذن فقول هذا الولي انه قادر على اغاثة مريديه سواء كان في الشرق أو الغرب أو في أي بلد من بلاد الله الواسعة . مبالغة تتعارض مع أسس العقيدة الإسلامية وفي الخزانة الحسنية وجدت في هذه القصيدة بيتا قبل هذا البيت وهو:

أنا لمريدي حافظ ما يخافه
واحرسه من كل شر وفتنة

واختم هذه الملاحظات بما قاله المرحوم علال الفاسي في كتابه « التصوف الإسلامي في المغرب » المطبوع سنة : 1419هـ 1998م ص:20حيث قال، من الحق أن نقول ان التصوف المغربي في القرون الثلاثة من السابع حتى التاسع ظل في حدود الكتاب والسنة بقدر المستطاع ، ولم تدخل فيه الادعاءات والخرافات التي اتصلت به منذ القرن العاشر إلى يومنا هذا ، وحتى في هذه العهود المتأخرة لم يخرج عن سيل التوحيد وإنما حصل لرجاله من الإغراق في المحبة وتحسين الظن ، مما جعل تقديس الأولياء يصل إلى حد الاعتقاد في قدرتهم على التصرف والضر والنفع ، الأمر الذي يعتبر انحرافا عن أسس الدين الصحيحة، وإن كانوا يزعمون ان ذلك من طريق اتصالهم بالله الذي جعلهم سببا من أسبابه ، والله اعلم بما يصفون والمنزه عمايصف الواصفون » هـ

ومن الاستطراد المحمود ان أشير إلى انني قرأت . للأستاذ الباحث عبد السلام الطاهري . بحثا طويلا نشره في مجلة « الإحياء » عدد20 من السلسلة الجديدة الرقم المتسلسل :34 . تحت عنوان« علاقة المريد بالشيخ الصوفي » مستدلا على هذه العلاقة بعدة قصائد لمتصوفة لهم باع طويل في ميدان التصوف » وفي صفحة : 205 وصفحة 206قال الكاتب الباحث : كقول أحمد التيجاني شيخ الطريقة، وذكر سبعة أبيات تبتدئ من:

على الدرة البيضاء كان اجتماعنا
وفي قاب قوسين اجتماع الأحبة

إلى : مريدي إذا ما كان شرقا ومغربا
اغثه إذا ما سار في أي بلدة

دون ان يشير إلى المصدر الذي اعتمد عليه في نقل هذه الأبيات التي قال إنها لعبد القادر الجيلاني.

وفي هذا النقد الأدبي المختصر لقصيدة عبد القادر الجيلاني، والذي اشرت فيه ان هذه الأبيات السبعة هي جزء من قصيدة عبد القادر الجيلاني ، لا للشيخ أحمد التيجاني ، حسب المصدرين المخطوطين اللذين اعتمدت عليهما ،وقد اشرت إلى هذه الأبيات السبعة بخط تحتهما ، فوجب التذكير، وأخيرا أرجو وألح من السادة العلماء المتضلعين والمختصين في هذا الموضوع الهام أن يعقبوا على ماكتبت بالتصويب والتصحيح، والتنبيه على جوانب أخرى أكون قد غفلت عنها ، وذلك نصحا وارشادا وتوجيها ، فقد قال الله تعالى « وفوق كل ذي علم عليم» صدق الله العظيم.

حلقات من سيرة حياة هالبا بين قرية الصخرة والقرويين

■ الأستاذ: الطاهر العروسي

الحلقة الثالثة

... كان الشيء الوحيد الذي يستأثر باهتمامي هو عند ما أخلو إلى« الجماعة » فأجلس بينهم تحت « البرية » وأسمعهم يتحدثون عن أحوالهم وظروف حياتهم . وقد عرفت منهم « عمر الجرفطي» وكان في السبعين من العمر ومع ذلك فإن عينيه كانتا تتألقان، كان يحتفظ بحيوية عجيبة. ويذكرون أنه متزوج بثلاث نساء ، وله أكثر من عشرين ولدا وبالرغم من أنه كثير الصمت ، إلا أنه بين الحين والآخر يفتح فاه ليتحدث عن مغامراته الحربية ضد جيش" الروخوس" ، وكيف أنه استطاع أن ينزل أفدح الخسائر بفرقة عسكرية ، ومن بين الجماعة أيضا عرفت الحاج إبراهيم وهو شخصية مرحة يكثر من الضحك والتنكيت ، ولذلك كانت الجماعة تخشى سلاطة لسانه وهو بعكس زميله « الجرفطي» فإن مميزاته ليست حربية بل تتناول فقط علاقاته وإعجابه الشديد « بالشيخات » وهو عندما يتحدث في هذا الموضوع فإنك تجد الأسماع مرهفة تنصت إليه باهتمام بالغ.

وعرفت الشيخ (بوشتى) وكان قصير القامة ذميم الخلقة تطفو على وجهه بثور الجدري ، وفي عينيه اليسرى بياض قيل أن سببه مرض الرمد الذي ابتلى به منذ طفولته.

كان يبدو ساهما شاردا وكأنه يفكر في وضع تصميمات وبرامج .. ويقال بأنه قضى أكثر من سنتين وهو يتردد على مغاور الجبل ليبحث فيها عن شيء ضائع ، فمن قائل أنه يبحث عن كنز مدفون ، ومن قائل أنه يبحث عن كيس مشحون بالريال الحسني.

كنت أجد متعة خاصة في التعرف إلى أهل القرية وأعيانها ، وعن طريقهم عرفت الكثير عن المثل التي يحافظون عليها والعوائد التي يتشبثون بها.

ولقد حضرت يوما موسما أطلقوا عليه « موسم سيدي عثمان» وغايتي من وراء ذلك أن أتعرف إلى أكبر عدد من سكان القبيلة ، وبهذه المناسبة يتوافد سكان القرى والقبائل المجاورة تتقدمهم الثيران وقد ربطوا على قرونها مناديل حريرية مزركشة بينما أنغام المزامير ودقات الطبول البلدية تتجاوب في الفضاء..

وأذكر أني شاهدت المراقب الاسباني برتبة ضابط عسكري يصفق مبتهجا ومحييا مواكب الثيران ، فتعجبت من هذه الظاهرة الغريبة ، وتساءلت في قرارة نفسي وأنا أتأمل نياشينه وشاراته المثبتة على صدره وكتفيه: ألا يكون هذا من باب تخدير عواطف الشعب؟ ماذا يهمه موسم سيدي عثمان؟

وتابعت « الثيران» طريقها لتذبح كقربان في النهاية ، وأحاطت النساء بالضريح ، ووقفت جماعة من الرجال والنساء والأطفال قيل أن لهم النصيب الأكبر من اللحم لقرابتهم من الولي المحتفى به.

كان الغبار ينتشر كسحب كثيفة ، فيقع بكثرة على « الحلوى» الموضوعة فوق الصناديق وسط العراء ، أو داخل خيمات من الشعر ، وتجمع الأطفال حول بائعي الزبيب والثمر الذين كانوا منهمكين في طرد الذباب المتجمع بواسطة مدبات مصنوعة من نبات الحلفاء.

كان منظرا مؤثرا ، وإنك لتشعر بالقرف، وأنت تنظر إلى هذه الوجوه الشقية ، وقد جاء أصحابها من أماكن نائية ، والعجيب أني سمعت بعض السذج يتحدثون بحماس عن احترام سلطات الاحتلا ل لمواسمهم ،. وأكد أحدهم : أنه لولا بركات (سيدي عثمان) لما وقف المراقب الاسباني برتبته العسكرية الرفيعة يحيي الموكب..؟

والحياة في القرية ممتعة.. فالجبل الأخضر الكبير والدور المعلقة في جوانبه .. وقد جثمت على سطوحها لفائف دخان أبيض .. والماء المتدفق في أعماق الوادي كشلال من فضة.. وكذا قطعان البقر والغنم والمعز. وهي تتسابق وتتنقل بين الأعشاب والشجر ، كل ذلك يسكب عليها لونا خاصا من الروعة والجمال .

وفي بيتي الصغير كنت أجد سعادتي ، وأنا أصلح فتيلة المصباح الزيتي .. أو أمسح زجاجته في المساء ، وحتى إذا ما اشعلت الفتيل انبعث الضوء ساطعا متراقصا يعكس على الحائط أشياء غريبة ، أحيانا يعكس صورة أحد زملائي بأنفه المعقوف ورأسه الضخم.

ومع أن نور المصباح لم يكن في إشراقه ولمعانه كنور الكهرباء مع ذلك فإنه يوحي بمشاعر لذيذة .. فهو يجعلك تعيش أوقاتا تحس خلالها أن نفسك مستريحة مطمئنة ، . وكم يكون المشهد بديعا ، وأنت تتأمل فراشات من مختلف الأحجام تحوم حول المصباح الساطع ، وقد أحبت النور ، وودت لو تموت من أجل النور ، وأذكر أن فراشة زارت بيتي ذات مساء فشاهدتها وهي تحترق عند ما ارتطم صدرها الصغير بزجاجة المصباح وقبل أن تسقط كنت متفائلا لمقدمها . فتركت لها حريتها في التنقل.. كانت تنزل تارة على صفحات الكتاب الذي أقراه . وتارة تحط على الكأس الذي أريد أن أشرب منه الشاي..

والطالب في عزلته عن العالم والناس.. يجد نفسه تتفتح لاشراقة روحية إنه أشبه بالناسك المتعبد .. فحياته البسيطة.. وتناوله خبز الذرة وكمية قليلة من (البيصارة) أو العدس..

واكتفاؤه بالقليل من الطعام في أكثر الأحيان كل ذلك يؤثر على نفسه وسلوكه كانسان لا يعرف زيف المدينة .. وهو عندما يقرأ القرآن. ويتلو آيات بينات منه فإنه يتدبر المعاني بإحساسه وشعوره ، ويخشى أن يكون قد ارتكب معصية أو ذنبا ، وحتى مغامراته كشاب مراهق معرض للزلل يود لو يطهر نفسه من آثامها بقوة وعنف.. ومن أجل ذلك تلقاه يغسل جسمه بالماء البارد في فجر صقيعي من أيام يناير أو فبراير ، إن شعوره بارتكاب « معصية» تظهر آثاره بينة واضحة على ملامحه، وهو يحاول الانزواء عن رفقائه وأصدقائه.

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

توظيف وسائل الإعلام للتعريف بعظمة الاسلام

كان فيلم الرسالة من الأفلام الجيدة التي شخصت في مشاهد رائعة ظهور الاسلام ، وكان لها وقع كبير في العالم وخاصة في أوروبا والولايات المتحدة حيث تعرف الأوروبيون والأمريكيون عن الإسلام وسماحته ، ثم ظهر فيلم الخليفة الصالح " عمر بن عبد العزيز" وبعده ظهر "فيلم هارون الرشيد" وتلاه فيلم " صقر قريش عبد الرحمان الداخل" ثم فيلم" طارق ابن زياد"

هذه الأفلام التي شاهدها الملايين على الشاشات ساهمت إلى حد كبير في التعريف برسالة الاسلام وقادته الكبار ويعود الفضل في ذلك إلى وسائل الإعلام والسينما تعتبر أهم هذه الوسائل ، ومنها التلفزيون والمسرح، وبعد أن أصبح الراديو والتلفزيون في كل بيت وشارع وفي القرى النائية، وأصبح رفيق الفلاح في حقله والعامل في مصنعه والجندي في الميدان ، هذه الوسائل الاعلامية ليست وسائل تسلية وترفيه ، ولهو كما قد يتصور بعض الناس خطأ ، بل هي وسائل تربية وتثقيف وتوجيه المجتمع ، والمتابع لأية أسرة مسلمة تجلس بجميع أفرادها أمام التلفزيون تشاهد التمثيليات والبرامج المفيدة لابد أن يلاحظ مدى اهتمام أفراد الأسرة بما يشاهدونه وكيف تشدهم المشاهد المشوقة والحوار المفيد إلى حد أن الواحد يخشى القيام خوفا من أن يفوته شيء من مضمون الحدث الذي يشاهده، يستوي في ذلك الرجل والمرأة والجاهل والمتعلم ، وابتداء من الطفل الصغير الذي لا يزيد عمره عن السنتين أو الثلاث ، وحتى الشيخ الكبير العاجز عن الحركة.

صحيح أن هناك غزوا فكريا وأخلاقيا أجنبيا لا يمكن إنكاره يدخل بيوتنا بدون استئذان ، ويؤثر على مجتمعنا بدون رقيب ولا مانع فيشكل حياتنا على الصورة التي يشاؤها لنا لا التي نشاؤها نحن لأنفسنا.

ويرجع السر في هذا النفوذ والتأثير القوي الذي تتمتع به هذه الوسائل الإعلامية إلى اعتمادها على القصة المشوقة وعلى الحوار النابض والصورة المتحركة ، ومما لاشك فيه أن الصورة الواحدة أكثر اقناعا وشدا للانتباه من عشرات الكلمات، وان الموضوع الهادف أقرب على توجيه الناس من الوعظ المباشر والخطب والأحاديث الطويلة المملة. ومن هنا يأتي واجب دعاة الاسلام وكل مسلم غيور على هذا الدين في الاستفادة من هذه الوسائل الإعلامية الحديثة استفادة عصرية لخدمة الاسلام والمسلمين ، و ليس في الاسلام أبدأ ما يمنع هذه الوسائل أو يحرمها ، إنما يحرم الاسلام الفساد والانحراف والرذيلة وفارق كبير بين الفن والفساد ، وقديما قال فقها ، الاسلام عن فن الغناء : إنه كالكلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ، وليس العيب أيضا في فن التمثيل ، ولكن العيب في إساءة استعماله واستخدامه ، وقد أصبح اليوم لهذا الفن معاهد علمية وقواعد مدروسة وأصبح يشتغل به المثقفون من الأساتذة والأدباء والأطباء ورجال الفكر ، وما التلفزيون والمسرح سوى وسيلة من وسائل الإعلام يجب أن نحسن استخدامها، وان دخول المسلمين في عصرنا الحاضر في معركة الأعلام العالمي بسلاح الخطب والوعظ الرخيص أمام عدو مسلح بأحدث الأسلحة الفتاكة يعتبر وزرا كبيرا يعرض الشعوب الإسلامية للإبادة والضياع . ولقد أحسن السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد التوفيق صنعا عندما ألقى أخيرا كلمة في مؤتمر عن الاسلام في هولندا قال فيه : إن الكثير من الأئمة والخطباء في العالم الاسلامي والغرب يحتاجون إلى تدريب عاجل فيما يتعلق بالموضوعات الحديثة كي يلحقوا بركب العالم المتغير حولهم.

وعن طريق وسائل الاعلام الحديثة نريد إبراز معالم التاريخ الاسلامي والتعريف بأبطال الاسلام أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وصلاح الدين ومعارك القادسية واليرموك وذلك بأسلوب قصصي مشوق يجذب المشاهدين ، وخاصة في الغرب الذي لا يعرف شيئا عن هؤلاء القادة العظام. ويمكننا عن طريق هذه الوسائل الاعلامية الحديثة شرح قواعد الفقه الإسلامي والعقيدة خلال عرض أحداث التاريخ دون اللجوء إلى الوعظ المباشر . ويمكننا كذلك التبشير بالإسلام بواسطة الترجمة الناطقة ، والدوبلاج لبعض الأعمال الاسلامية المنتقاة والناجحة وعرضها على الإذاعات والتلفزات في كل أنحاء العالم ، بعد أن أصبح الأوروبيون في الغرب متعطشين إلى العلم والمعرفة وغير متعصبين ضد الأفكار الجديدة التي جاء بها الاسلام.

قطب الصوفية: الشيخ أبو محمد عبد السلام ابن مشيش

■ إعداد الدكتور إدريس خليفة

■ هو شيخ الجبل بالناحية الشمالية الغربية من المغرب الذي ذاع صيته في الأفاق وتسامع الناس به قطبا لأولياء بلده والبلاد الإسلامية ، فعرفوا شمائله وحفظوا مناقبه وتقرر لديهم بما شبه الإجماع علو كعبه في المعارف الدينية وشموخ منزلته الدينية والتمس الكثيرون عامة علماء ووجهاء البركة في زيارة ضريحه الواقع على قمة جبل العلم ببني عروس، وامتدحه المناثرون والشعراء بعد وفاته، ذاكرين إمامته وجهاده لنفسه واجتهاده في محبة ربه ومحبة النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، حتى أصبح عارفا غارقا في لجج الحقائق الملكوتية ، منشغلا عن الخلق ، كارها عشرتهم مستوحشا منهم، لا يأنس إلا إلى ربه ولا يجد لذته إلا في مناجاته ،، ولا راحته وبرد ضميره إلا في ذكره واستحضار عظمته ، ذلكم هو الشيخ الصوفي المولى عبد السلام بن مشيش الإدريسي الحسني ، ونسبه الكامل هكذا:

أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن السلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

كان مولده في دولة الموحدين حوالي عام 559 هـ أو عام 563 هـ بقرية الحصن بقبيلة بني عروس الواقعة إلى سفح الجبل الذي دفن هو به ، ويوجد المنزل الذي شهد مولده قرب جامع الدلم قائما إلى الآن، ويوجد بهذه القرية حصن بناه المولى اليزيد العلوي الذي كان معتصما بهذه القبيلة وبذلك المعقل مدة من الزمن.

وقد أدخله والده إلى الكتاب وقراءة القرآن وحفظه فحفظه بالروايات السبع ولما يزد عمره على إثنتي عشر سنة قيل إن الذي أقرأه القرآن هو الفقيه الصالح السيد سليم دفين قبيلة بني يوسف، وشرع في طلب العلم ، فقرأ على الفقيه الحاج أحمد الملقب أقطرن دفين قرية أبرج الاخماسية قرب باب تازة ، أخذ عنه علوم الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، وعلى الفقيه الصوفي المربي السيد عبد الرحمان بن الحسن العطار الشهير بالزيات ، وكانت لهذا الأخير رحلة إلى الشرق ، وأقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في حي الزياتين، لذلك لقب بالزيات ، وعاد بعدها إلى بلده حيث قام بالتعليم ومهام تربية الطلبة، ودفن بترغة، ويعرف عند أهل المكان بفقيه مولاي عبد السلام ، وعلى أخيه الأكبر الرضا، وعلى شيخه في الطريق عبد الرحمن بن المدني، وأخذ هذا عن العارفين بالله تقي الدين الملقب (تقي الفقيه) من أرض العراق عن الشيخ فخر الدين عن الشيخ نور الدين أبي الحسن علي عن الشيخ تاج الدين عن الشيخ شمس الدين عن الشيخ زين الدين القروني عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم البصري عن الشيخ أحمد المرواني عن الشيخ أبي محمد سعيد عن الشيخ أبي محمد فتح السعود عن الشيخ سعيد الغزواني عن الشيخ جابر عن سبط النبي الحسن بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر البعض ممن تعرض للموضوع أن الشيخ عبد الرحمن المدني أخذ عن الشيخ جعفر بن عبد الله الخزاعي الأندلسي عن الشيخ أبي مدين وغيره.

وكانت تعتري المترجم الشيخ عبد السلام بن مشيش حالات من الجذب في صغره وعندما شب مارس الأعمال الفلاحية المعتادة لأهل قبيلته وبنى لنفسه مسكنا في موضع كانت به قبيلة وهي الآن خربة تسمى أدياز الفوقاني ، ولا تزال إلى الآن بالمكان آثار تنسب إليه، قريبة من داره وبعيدة عنها بعض الشيء يعرفها السكان المحليون، منها عين ماء تنسب إليه غزيرة المياه ، ومنها موضع تعبده، ومنها مدفنه يقال إن به قبر والدته، وأكثر أرض السهول الواقعة في هذا المكان مملوكة لحفدته.

يذكر في حياة الشيخ المولى عبد السلام أنه دخل سبتة قاصدا أن يدخل الأندلس للجهاد بها، وأنه مكث مدة من السنين في المدينة المذكورة يعلم القرآن ثم خرج عنها راجعا إلى بلده بسبب إذاية امرأة سلطت عليه ، وكان أخوه وأستاذه السيد الحاج موسى الرضا قد توفي ، فلما رجع إلى موطنه انصرف للعبادة ولازم الخلوة عشرين سنة ، وقد اكتملت مواهبه الروحية خلال هذه المدة وصار بذلك إماما ربانيا صرفيا خالصا مخلصا، وكان الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش يفر من الخلق ويؤثر الخلوة في مناجاة ربه الحق، ويكره أن يعتقد الناس فيه أي اعتقاد بالصلاح ، ويجافي من يطلب منه أن يرتب عليه الأوراد، ولم يسع في حياته إلى شهرة بل لم يشتهر في حياته وإنما اشتهر بعد مماته.

روي أن رجلا سأله أن يوظف عليه وظائف وأورادا يعمل بها ، فقال: أرسول أنا؟ الفرائض مشهورة والمحرمات معلومة فكن للفرائض حافظا وللمعاصي رافضا، واحفظ نفسك من إرادة الدنيا وحب النساء وإيثار الجاه وإيثار الشهوات واقنع من ذلك بماقسم الله لك، إذا خرج لك مخرج الرضا، وإذا خرج لك مخرج السخط فكن له صابرا، ورفض الدنيا قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لأنواع الكرامات، وحصون ذلك كله أربعة: الورع وحسن النية وإخلاص العمل ومحبة العلم ، ولا تتم هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ صالح:

هذه هي وصايا المولى عبد السلام ونظراته وتوجيهاته تدرك منها مذهبه وتعرف منها إخلاصه وجده في محاربة شهوته وإعراضه عن الظهور بمظهر الولاية وفراره من الشهرة.

ويروي أن رجلا قال له: ياسيدي ، أستأذنك في مجاهدة نفسي ، فأجابه بقوله تعالى« إنما يستأذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون».

ومن كلامه الذي رواه عنه حفيده أبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب والشيخ الغزواني والشيخ العلامة أبو عبد الله المساوي : " اللهم لا تبعث لنا من حكمت بشقائه، وإن بعثته إلي فشعني فيه يوم القيامة".

ومن وصيته لتلميذه أبي الحسن الشاذلي:

" الزام الطهارة من الشكوك، كلما أحدثت تطهرت ومن دنس حب الدنيا كلما ملت إلى شهرة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت ، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة ، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو كلما أفقت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به حتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله..."

ومن آثار المولى عبد السلام السنية تصليته الشهيرة على النبي صلى الله عليه وسلم التي لا يزال المؤذنون يرتلونها على الصوامع ويقرأها المريدون في الزوايا ، ويشتغل بها كل المحبين للرسول عليه الصلاة والسلام ، ولفظها : اللهم صل على من منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ،، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجزت الخلائق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولاسيء إلا وهو به منوط ، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط، صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله، اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك ، اللهم ألحقني بنسبه وحققني بحسبه ، وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضل ، واحملني على سبيله إلى حضرتك ، حملا محفوفا بنصرتك، واقذف على الباطل فأدمغه ، وزج بي في بحار الأحدية ، وانشلني من أوحال التوحيد ، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سر حقيقتي وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحق الأول، يا أول ، يا آخر ، ياظاهر ، ياباطن ، اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام ، وانصرني بك لك وأيدني بك لك، واجمع بيني وبينك ، وحل بيني وبين غيرك . آ لله، آ لله، آ لله: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا.

وقد تناول هذه الصلاة بالتفسير شراح كثير منهم:

. محمد بن علي الخروبي الطرابلسي ، وسمى شرحه " مفتاح المقام لفهم ما عبر عنه في تصليته الشيخ مولانا عبد السلام.

. محمد بن عبد الرحمن ابن زكري الذي سمى شرحه باسم" الإلمام والإعلام بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب عبد السلام".

. بدر الدين محمد بن محمد الشاذلي الحمومي الذي شرحه باسم: " الكواكب المنيرة في حل ألفاظ المشيشية الشهيرة".

. ابن سليمان الغالي الفاسي ، واسم شرحه:" التحف العرائشية على الصلاة المشيشية".

. شرح محمد بن عبد السلام بنعبود التطواني ، ضمن كتيب له بعنوان :" علم الجمال الروحي مع شرح الصلاة المشيشية".

. شرح الأستاذ جلول أحميمد التقاشي التطواني العرائشي بعنوان :" شرح المشيشية".

. شرح العلامة الصوفي التهامي الوزاني التطواني .

وهناك شروح أخرى لها لا أطل بذكرها ، وممن شرحها من أهل تطوان كذلك الشيخ أحمد بن عجيبة ، والشيخ محمد الحراق ، وانتشار شروحها وكثرة الشروح على هذا النحو تدل على شهرتها الواسعة وعلى القبول الذي تلقاها الناس به ، وعلى ما كان لها من تأثير في النفوس والمشاعر والأذواق .

ولقد ظل المولى عبد السلام معتصما بجبله لا يأوي إلى الخلق ولا يأذن لأحد في الاتصال به والأخذ عنه، داعيا الله أن لا يبعث إليه أحدا من أشقياء الخلق ، فاستجاب الله دعاءه وظل سره مكتوما حتى أوصل الحق سبحانه إليه تلميذه الوحيد الشيخ أبا الحسن الشاذلي ذائع الصيت في العالم الإسلامي في مضمار التصرف ، وهو من أفراد القبيلة الخمسية المجاورة لبني عروس ، الذي طاف العالم الإسلامي باحثا عن القطب، فقيل له: ارجع إلى بلدك فإن القطب به ، فرجع ليلقى شيخه المولى عبد السلام الذي بذر في نفسه تعاليمه الروحية ومواجيده وأذواقه الربانية ، وتخرج به صوفيا كبيرا ، ينير قمر هدايته، ويشرق أفق تربيته بأسرار وأذكار وكرامات وبركات.

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يموت المولى عبد السلام شهيدا ، فسلط عليه أحد غواة الضغاة من خلقه ، وهو الساحر المشعوذ ابن أبي الطواجين الكتامي الذي أضل الناس بشعوذته في هذه الجبال وثار على سلطة الدولة وعاث فسادا في نواحيها وكان حربا على المسلمين وصلحائهم ، خاصة على أهل سبتة كما أشاع المنكرات والفواحش ، وكأنما أراد أن تؤثر عنه قبائحه مدى الدهر، فأمر أتباعه وكانوا أوزاعا من قبائل مختلفة بالترصد للشيخ وقتله ، وذلك حتى يخلو له الجو ويأمن جانب الإنكار من شيخ الجبل ، ويتجرد لما هو بصدد من إقامة سلطانه ونشر ألوية بهتانه ، فكانت الجريمة البشعة التي ذهب ضحيتها الشيخ ، إذ قتل غدرا بالعين التي كان يتوضأ بها قبيل طلوع الفجر بقليل في قرية أدياز الفوقاني ، دار سكناه ، وانتقم الله من الظالمين، فهلكوا وانتدب نفسه للقضاء على الطاغية شاب من عائلة أولاد فزاكة (من قرية بني سعيد) ، تزيا بزي فتاة حسناء حتى نفذ إلى الطاغية وقتله بخنجر ، ووضع بذلك حدا لشره وفساده.

و كانت وفاة المولى عبد السلام شهيدا حوالي عام 625هـ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والسلام الأتمان الأكملان على النعمة المهداة ، والرحمة المسداة ، السراج المنير البشير النذير ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

❖❖❖

. السيد رئيس لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور التهامي الراجي الهاشمي

❖❖❖

. السيد مقرر لجنة المناقشة أستاذي الدكتور أحمد أبو الوزيد

❖❖❖

. السيدان الأستاذان عضوا لجنة التحكيم عبد العزيز كارتي ومحمد بوطربوش

❖❖❖

السلام عليكم وحمه الله وبركاته

وأما بعد،

فلقد لقي القرآن الكريم في نفوس المسلمين ، على مر الدهور والعصور ، عناية كبرى لم ينلها كتاب غيره ، واستشعرت الأمة الإسلامية ، على اختلاف الأماكن والأزمان، أهمية الأمانة الملقاة على عاتقها نحو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فاشتدت عنايتها به وحفظت أسانيده، وضبطت رسمه ، وروته عن النبي صلى الله عليه وسلم متواترا آية آية، وكلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، وحفظته حفظا في صدورها وإثباتا في مصاحفها وسطورها ، حتى روت أوجه نطقه وطرق رسمه، ووضحت وجوه قراءاته ، وعللت مختلف حروفه ورواياته وتحقق بذلك خبر الله سبحانه وتعالى ووعده :(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

❖❖❖

ومن المسلم به أن القرآن الكريم يعتبر في طليعة النصوص المتواترة لفظا وخطا ، إن لم نقل بأنه النص الأوحد ، وذلك لأنه يتوفر على جميع شروط الصحة التي تشترط في كل مستند علمي ، وليس هناك كتاب سماوي وصل إلى ذروة التوثيق العلمي كما وصل إليه القرآن الكريم ، وبذلك استطاع أن يشكل المرجعية الأولى للثقافة الإسلامية ، وشكل قطب رحى اهتمام المسلمين واجتهادهم على اختلاف تخصصاتهم المعرفية ومذاهبهم الفكرية.

لذلك كله، كان طلب علوم القرآن والتخصص في أصولها وفروعها من أوجب الواجبات الكفائية على المسلمين.

ولقد يسر الله القرآن الكريم تلاوة وحفظا وفهما وتدبرا ، حيث قال جل شأنه : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) سورة القمر / الآية: 17 . ولاشك أن من مظاهر تيسير القرآن نزوله على سبعة أحرف تخفيفا على الناس وتيسيرا على الأمة ، حيث تلقاه الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم غضا طريا وعلموه بدورهم وتفرقوا في الأمصار، كل يعلم على الصفة التي تلقاها من النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان عام ثلاثين من الهجرة ودب الخلاف بين الناس في القراءة ، فأفزع ذلك الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فنسخ من المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق مجموعة من المصاحف وبعث بها إلى الأمصار ، ودعا المسلمين إلى الاجتماع عليها ، والابتعاد عما يخالف رسمها، مستعينا في ذلك بزهاء اثني عشر ألفا من قراء الصحابة والتابعين.

❖❖❖

ومضى القرن الأول من الهجرة والناس يقرؤون بما يوافق المصلحف المعتمدة ، ثم لما كثر الرواة عن أئمة القراءة وقل الضبط وضعفت الهمم اجتمع الناس في كل مصر من الأمصار على إمام من أئمة القراءة انتهت إليه الرياسة في الإتقان والثقة والأمانة والعلم، وأصبحت القراءة مضافة إليه إضافة لزوم واختيار لا إضافة ابتكار واختراع.

❖❖❖

وفي القرن الثالث من الهجرة أخذ العلماءأ في التصدي للقراءات المروية عن الأئمة أصحاب القراءات ، فكان أول من جمع القراءات جمعا يشتمل على أصول القراءة وفروعها في مصنف هو الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام(ت 223) جمع في كتابه (القراءات خمسة وعشرين قارئا مع القراء السبعة المعروفين).

ولكن أهم عمل يمكن اعتباره معلمة بارزة في تاريخ القراءات والتصنيف فيها هو ما قام به الإمام أبو بكر بن مجاهد (ت 324) الذي اقتصر في كتابه (السبعة) على قراءات القراء السبعة ، واحتج للقراءات الواردة في سورة الفاتحة واستطرد في ذكر العلل والتوجيهات، وبعد سورة الفاتحة ذكر قراءة القراء في السور الأخرى مجردة عن التوجيه والاحتجاج.

ثم كان دور الإمام أبي بكر بن السراج (ت 316) الذي تعرض للقراءات الواردة في كتاب (السبعة) بالتوجيه والاحتجاج ، فأتم سورة الفاتحة وجزءا من سورة البقرة.

ثم قام الإمام أبو علي الفارسي (ت377) فألف كتابه (الحجة) ذكر فيه وجوه القراءات المذكورة في كتاب (السبعة) لابن مجاهد.

وبعد الفارسي قام تلميذه أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392) بوضع كتاب (المحتسب) مبينا فيه حجج القراءات الشاذة التي جمعها ابن مجاهد.

ثم تتابع العلماء في التأليف في علم التوجيه والاحتجاج للقراءات القرآنية صحيحها وشاذها ، حتى كانت بداية القرن الخامس الهجري حيث ألف الإمام أبر العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت: نحو 440) كتاب (الموضح في تعليل وجوه القراءات السبع) شرح فيه كتاب (الهداية في تعليل وجوه القراءات).

وكتاب (الموضح) كتاب عظيم يحتل مكانة هامة بين كتب علم التوجيه والاحتجاج، حيث عده الإمام جلال الدين السيوطي أحد ثلاثة كتب مهمة في هذا الفن بعد الحجة للفارسي والكشف لمكي بن أبي طالب القيسي.

❖❖❖

كما ألف الإمام المهدوي مؤلفين أدرج فيهما علم التوجيه والاحتجاج كمبحث من مباحثهما وباب من أبوابهما، هما: تفسير (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) و (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) .

ولا يجادل أحد في أن دراسة مناهج العلماء من خلال كتبهم ومؤلفاتهم ، والكشف عما يمثله في فنه وتخصصه والإبانة عن أصول إمامته ومبادئ مدرسته، لها أهميتها الخاصة، وذلك أن المؤلف لا يعكس ثقافته الخاصة ، ولا اتجاهه العلمي واختياره المعرفي فقط ، وإنما يعكس في الحقيقة التراكم الحضاري والثقافي الذي هيمن على فكر عصره، وثقافة زمانه.

❖❖❖

فالانسان . كما هو معروف ، ابن بيئته، والناس أشبه بزمانهم منهم بأجدادهم وآبائهم، وتأثير الوسط العلمي والثقافي والحضاري بليغ في تكوين العلماء والباحثين ، مما يجعل الكشف عن مناهج العلماء واختياراتهم وأصولهم الفكرية سبيلا إلى معرفة وسطهم العلمي وبيئتهم الفكرية والمذهبية.

ولا شك أن قواعد العلماء المسلمين عموما ، ومناهج علماء القراءات على وجه الخصوص أثرت في معظم العلوم والفنون الإسلامية النقلية كاللغة والأدب والتاريخ وغيرها، حيث اجتهدوا في تأصيل الأصول وتقعيد القواعد من أجل الانتصار للقراءة وبيان وجهها في العربية ، ومكانتها في اللغة ، وهذا المنهج كان في الحقيقة أساس العلوم ومنطق المنقول، وميزان تصحيح الأخبار .

وشكلت مدرسة الاحتجاج للقراءات وتعليل وجوهها سدا منيعا حال دون تسلل التشكيك في القراءات الصحيحة ، وساهمت إلى حد كبير في تصويب حركة الأمة العلمية.

وحين يكون العالم متخصصا في علوم القرآن، قارئا موجها للقراءات القرآنية ، يكون للبحث عن منهجه وأصوله العلمية أهميته العلمية وقيمته الحضارية بحكم أن علم توجيه القراءات من العلوم التي تنعكس على التأليف فيها مجموعة من العلوم والمعارف ، ومستويات ثقافية لفنون متعددة الأشكال والمشارب.

وعلى هذا الأساس اخترت أن يكون موضوع البحث (الإمام المهدوي ومنهجه في علم التوجيه والاحتجاج للقراءات القرآنية).

وترجع صلتي الأولى بالإمام المهدوي إلى تلك الآراء التي كنت أصادفها في كتب التفسير والقراءات يذكرها القراءوالمفسرون في المسائل النحوية والقرآنية مبثوثة هنا وهناك، وهي آراء أثارت مني الاهتمام ، وأومأت إلي بتفرد هذا الإمام بالرأي والإمامة في علوم القرآن وفنونه.

❖❖❖

بالإضافة إلى أن الإمام المهدوي يبرز في بعض الدراسات الحديثة منوها به في الكتب العلمية والمجلات الأدبية، ولا حظت أن ذلك التنويه لا يخلو من قصور في فهم آراء الرجل ، ومستواه العلمي ، لعل مبعثه أن أحدا من هؤلاء الدارسين لم ينقطع له، ولم يتخصص في دراسته.

وللوصول إلى الغاية المرجوة من البحث فقد انتهجت المنهج التاريخي في بحثي ، وراوحت ، من حين إلى آخر ، بينه وبين المنهج الاستقرائي ، حيث جمعت ما تيسر لي من المصادر والمراجع المتصلة به من قريب أو بعيد، ثم نظرتها وحققت ما ورد فيها من آراء وأفكار وظواهر لها علاقة بالإمام المهدوي ، وذلك حسب ما تمليه طبيعة البحث في جوانب الموضوع.

❖❖❖

وقد حاولت من خلال ما قدمته في هذا البحث أن أتطرق إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة والإشكالات المطروحة ، يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

ما موقع الإمام المهدوي في التاريخ العلمي للغرب الإسلامي تعلما وتعليما وتأثرا وتأثيرا؟

ما موقع المهدوي بصفة خاصة في مجال علم التوجيه والاحتجاج رحلة وتصنيفا وتدوينا ونشرا؟ وما درجة تأثره بالسابقين وتأثيره في اللاحقين ؟ وما هي مكانته بين أقرانه والمعاصرين؟

وهل يمكن الحديث عن مدرسة ومنهج للإمام المهدوي ، لها مقوماتها العلمية، وأصولها الذاتية؟

وماهي معالم المدرسة القيروانية التي ينتمي إليها المهدوي؟ ، وماهي أهم نقاط الاختلاف بينهما وبين المدارس المعاصرة لها في المشرق وفي الأندلس؟ ولمعالجة هذه الاشكالات اقتضت خطة البحث تقسيمه إلى أربعة أبواب مسبوقة بمدخل عام ومختومة بخلاصة .

نوقشت بكلية الأدب بالرباط أطروحة دكتوراه الدولة للباحث عبد الفتاح الفريسي في موضوع:

الإمام المهدي ومنهجه في علم التوجيه والاحتجاج للقراءات القرآنية

الحلقة الأولى

حول لهارة لهابة

■ وسئل ابن خجو عما يفعله الناس في مناخرهم ويسمونه "طابقو" هل هذا سيدي مباح أو حرام أو مكروه وما حكم الله فيه وهل الصلاة بتحمله جائزة أو ممنوعة فأجاب:

... أي ما يستعمله جهلة الناس وهمجهم من الغبار المذكور في الأنف هل يباح استعماله وهل تصح الصلاة به فاعلم أن ذلك ينبني على الحكم بطهارته وقد قال إمام المالكية بالدار المصرية في وقته الشيخ إبراهيم اللقاني لما تكلم على هذه العشبة الخبيثة ما نصه: قد أخبرنا الثقات من التجار والفقهاء والصلحاء والصوفية والعلماء الذين جالوا الاقطار وركبوا البحار وخالطوا الأسفار ان منه ما يجلب من بلاد النصارى والروم ومنه ما يجلب من بلاد السودان أو بعض أراضي المغرب وان منه ما يجلب ويزرع في بلاد الإسلام إلا أن ما يجلب من بلاد النصارى منه ما هو مطبوخ بالخمر ومعجون به ذكر لي أخ صديق من كبار الأندلس احضر له اناء فيه شيء منه وقال هذا أحسن نوع من الدخان وأكمله وذلك أنه مرشوش بشحم الخنزير بعد طبخه بأنواع من العقاقير نسيت تعيينها وان الذي يجلب من بلاد المغرب سليم من ذلك وان الذي يجلب من بلاد سودان المسلمين الذي يزرع ببلاد الإسلام وان الذي يجلب من بلاد المجوس كالذي يجلب من بلاد النصارى فأما ما اجتمع من ذلك في بلاد ولم يمكن تمييز بعضه عن بعض على هذا الخبر فلا كلام في حرمته جميعه... هـ كلام اللقاني وهو حسن صحيح وقد رأيت من دخل المسلمين بادس فأخبرنا أنه رأى النصارى يأخذون الأبوال وينقعون فيها هذه العشبة نسأل الله السلامة فإذا تبين هذا فلا يجوز استعمال شيء من ذلك لأنه لا يجوز للآدمي أن يتداوى بالتنجس ولا أن يدخله المسجد ومن صلى وهو معه عمدا فصلاته باطلة.

وسئل سيدي ابراهيم الجلالي عن عدة مسائل منها مسألة طابة التي عم البلاء بها في مغربنا وغيره ويتعاطاها الأرذال وغيرهم ويزعمون أن فيها دواء لقطع البلغم وغيره هل هي حرام أو لا لأننا سمعنا أن المتصدرين للفقهيات بحضرة فاس في الوقت القاصي وغيره اتفقوا على تحريمها وحيث كنا بفاس العام الفارط التقيت بالقاضي ومفتي الوقت في حينه وتفاوضت معهم في ذلك وطالبتهم بالنص فلم أجد عندهم ما يعتمد عليه وذكرت لهم ما لابن غازي في تكميل التقييد من التقسيم في المسكرات وغيرها فلم أجد عندهم ما يشفي الغليل فنطلب من سيادتكم الجواب عن هذه النازلة مأجورا مشكورا فأجاب:

أما ما عمت به البلوى من شرب العشبة المشومة على نواحيها المتلفة أموال غربنا وهي المسماة بتابغة بلغة أهلها فقد كنا بحاضرة فاس أيام قدوم السلطان عليها مولانا أحمد نصره الله وبقدومه انتشر امرها بتلك الحاضرة اجتلبها أهل كراكش واستعملوها كثيرا فانتشر أمرها واستعمالها عند أهل تلك الحاضرة، ثم ان الغلاء ظهر هنالك وفي سائر الأقطار فجمع السلطان رحمه الله أعيان وصلحاء وقته وسألهم عن سبب تردد الوباء الذي كان يتردد على مدينته المراكشية .. فأجاب كل واحد من الفقهاء بما ظهر له .. وكا ن آخرهم في الجواب شيخنا البركة.. ابن عرضون الشفشاوني الدار ... فقبل السلطان جوابه دون جواب غيره من الحاضرين .. ثم من جملة ما أمر بتغييره أن يحرق العشبة الخبيثة في ديوان النصارى بفاس الجديد حرق منها القناطير المتعددة فلما وقع ذلك تكلم الطلبة في شأنها وقالوا ان هذا فساد عظيم في أموال التجار ومن جملة من تكلم في ذلك محبكم كاتب هذه الحروف وتناولت الكلام على ذلك بسبب الواقع المذكور مع الفقيه الحافظ المحدث الأستاذ الشريف الحسني أبي محمد سيدي عبد الله الفلالي الدار وكان من جملة الفقهاء القادمين مع السلطان رحمه الله من مراكش فأخبرني بتحريمها واطلعني على كراسة وطالعت الكراسة من أولها إلى آخرها فصرح صاحبها واستدل عليه بأدلة عديدة ولم يتعلق منها بحفظ الآنة سوى العلة التي استدل بها سيدي عبد الله المنوفي على تحريم الحشيشة...

العلمي : نوازل العلمي
طبعة حجرية

حكم عشبة التبغ

وسئل الدرعي عن عشبة تبغ هل هي نجيسة؟ وما الحكم في شربها وبيعها هل هما حرام أ م لا ؟ فأجاب :

أما حكمها فالطهارة كسائر الأعشاب الغير المسكرة وأما التحريم ففي شرب دخانها عند من قال به وأما بائعها فهو عاص عند من حرم شربها لا عند من أباحه كذلك الكلام في شاربها . فقلت له ياسيدي ما تقول فيها أنت ، فقال رضي الله عنه : اتفق علماء الظاهر أهل البصائر وأهل العلم الباطن على تحريمها ولم يتكلم فيها إلا أهل الهوى ، ولا يشربها إلا المهتوفون ومن يشرب تبغ أو يشم الشم فليس عليه عندنا شيء.

قال رضي الله عنه في ثالث وثمانين والف وقد أمر البعض من تلاميذه أن يحرق كل ما عنده من تلك العشبة الكائنة عنده في الخزين ويرمي بما غرس منها في الفدادين...

فقلت ياسيدي يشربها الأولياء وينعتون للناس الماء تحت الأرض فيصيبون بالتجريب فقال رضي اله عنه حاش أن يشرب الأولياء ذلك لأن قلوبهم منورة ورؤية الماء تحت الارض هي صنعة كسائر الصنائع والكفار ينعتون الماء تحت الارض والمعتبر الاستقامة على الطريق والوقوف عند حدود الله

نوازل الدرعي : مخطوط خ ع د 1250 .2.

ص . د25 سئل الشيخ الرهوني رحمه الله عن امام راتب يستعمل عشبة طابة هل تصح الصلاة خلفة أو لا .. فأجاب: الراجح والمعلوم به حرمة استعمال العشبة المذكورة قال أبو زيد القاسي في عملياته:

وحرموا الطاب للاستعمال
وللتجار على المنوال

ولا ينبغي تقديم صاحبها للإمامة ولاسيما راتب في المسجد فإن وقع فالصلاة خلفه صحيحة مع الكراهة

المهدي الوزاني المعيار الجديد ج1 ص25.

حصة أوقات الصلاة لشهر جمادى الأولى لعام 1426 هـ
حسب التوقيت الإداري لمدينتي الرباط وسلا والنواحي

الأيام	جمادى الأولى 1426	يونيو / يوليوز 2005	الصبح س : د	الشروق س : د	الظهر س : د	العصر س : د	المغرب س : د	العشاء س : د
الخميس	1	9	24:3	13:5	31:12	12:4	41:7	15:9
الجمعة	2	10	24:3	12:5	31:12	12:4	42:7	16:9
السبت	3	11	24:3	12:5	32:12	12:4	42:7	16:9
الأحد	4	12	23:3	12:5	32:12	13:4	43:7	17:9
الاثنين	5	13	23:3	12:5	32:12	13:4	43:7	17:9
الثلاثاء	6	14	23:3	12:5	32:12	13:4	44:7	18:9
الأربعاء	7	15	23:3	13:5	32:12	13:4	44:7	18:9
الخميس	8	16	23:3	13:5	33:12	13:4	44:7	18:9
الجمعة	9	17	23:3	13:5	33:12	14:4	45:7	19:9
السبت	10	18	23:3	13:5	33:12	14:4	45:7	19:9
الأحد	11	19	23:3	13:5	33:12	14:4	45:7	19:9
الاثنين	12	20	24:3	13:5	33:12	14:4	45:7	20:9
الثلاثاء	13	21	24:3	13:5	34:12	15:4	46:7	20:9
الأربعاء	14	22	24:3	14:5	34:12	15:4	46:7	20:9
الخميس	15	23	24:3	14:5	34:12	15:4	46:7	20:9
الجمعة	16	24	25:3	14:5	34:12	15:4	46:7	20:9
السبت	17	25	25:3	14:5	35:12	15:4	46:7	20:9
الأحد	18	26	25:3	15:5	35:12	16:4	46:7	20:9
الاثنين	19	27	26:3	15:5	35:12	16:4	46:7	20:9
الثلاثاء	20	28	26:3	15:5	35:12	16:4	46:7	20:9
الأربعاء	21	29	27:3	16:5	35:12	16:4	46:7	20:9
الخميس	22	30	27:3	16:5	36:12	16:4	46:7	20:9
الجمعة	23	يوليوز	28:3	17:5	36:12	17:4	46:7	20:9
السبت	24	2	28:3	17:5	36:12	17:4	46:7	20:9
الأحد	25	3	29:3	18:5	36:12	17:4	46:7	19:9
الاثنين	26	4	30:3	18:5	36:12	17:4	46:7	19:9
الثلاثاء	27	5	30:3	18:5	37:12	17:4	46:7	19:9
الأربعاء	28	6	31:3	19:5	37:12	17:4	46:7	18:9
الخميس	29	7	32:3	19:5	37:12	18:4	46:7	18:9

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1123
السنة39
الجمعة 01 جمادى الثانية 1426
هـ الموافق 08 يوليوز 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1123 الجمعة 01 جمادى الثانية 1426 هـ . الموافق 08 يوليوز 2005م

الاستلحاق كسبب للحوق النسب في الفقه والقانون

إعداد الأستاذ: محمد أكديد
استاذ بالمعهد العالي للقضاء - الرباط

الحلقة الثانية

المبحث الثالث: خصائص ومقومات الاستلحاق:

يستخلص من تعريف الاستلحاق أن له خصاص ومقومات تجعله يتميز عن غيره من الأمور المشابهة، كالإقرار الذي يتضمن تحميل النسب على غير المقر، حيث يقتصر أثره على الإرث دون النسب عند جمهور الفقهاء، وكالتبني الذي شاع في عدد من المجتمعات غير الإسلامية، خاصة في العصر الحاضر والذي يعتبر محرما في الشرع، الإسلامي، وكالكفالة التي تقوم بمهمة رعاية الولد والقيام بشؤونه وحاجياته المادية والتربوية، دون أن تؤثر على وضعية نسب المكفول.

وأهم هذه الخصائص التي ينفرد بها الاستلحاق هي:

1 - أنه خاص بالأب دون غيره من الأقارب عند المالكية، فالأم أو الجد والابن وأحد الزوجين لا يستلحقون عند المالكية، كما أن غيرهم من الأقارب لا يصح استلحاقهم، وسياتي الحديث عن ذلك في الفقرة الخاصة بشروط الاستلحاق تحت عنوان: "من هم الأشخاص الذين يثبت النسب بإقرارهم"؟

2 - أنه لا يتعلق إلا بمجهول النسب دون غيره، وبالتالي فلا يستلحق معلوم النسب ولا مقطوع النسب الذي مثل له المالكية بولد الزنا،

3 - هو بطبيعته - من جانب المقر - دعوى مصدقة ومقبولة ومنتجة لآثارها دون مطالبة صاحبها بالإثبات وبالنظر إلى المقر به هو إقرار بحق للولد يلتزم به من مصدر عنه،

4 - عدم إمكانية قبول رجوع المستلحق عن إقراره إذا توفرت الشروط الأخرى، رغم أن له طبيعة "الادعاء" الذي يمكن لصاحبه الرجوع عنه في غير الاستلحاق وفق القواعد العامة المقررة في بابه،

5 - عدم توقف صحة الاستلحاق في الفقه المالكي على موافقة الولد المستلحق ولو كان رشيدا، بل ورغم معارضته وكذا رغم معارضة أمه زوجة لمستلحق،

6 - يعتبر الاستلحاق وسيلة من وسائل لحوق النسب دون ضرورة وجود الفراش للمستلحق،

7 - هو بمثابة التزام صادر عن إرادة منفردة، ومن المعلوم في باب الالتزامات أن من مصادر الالتزام الإرادة المنفردة، وخاصة أنه لا يشترط في المذهب المالكي لصحة الاستلحاق تصديق المستلحق، ولا إثبات زوجية أمه، بل يصح الاستلحاق رغم منازعة الولد والزوجة على المشهور من المذهب المالكي، واعتبارا لذلك فهو (أي الاستلحاق) يعتبر مصدرا للحقوق والواجبات لفائدة الولد في مواجهة من استلحقه كوالد له دون توقف ذلك على قبول الطرف الثاني المستلحق عند المالكية.

المبحث الرابع: شروط الاستلحاق:

نشير هنا باقتضاب إلى الأشخاص الذين يثبت النسب بإقرارهم، وشروط هذا الإقرار على صعيد الفقه وذلك في إطار المذهب المالكي وبعض المذاهب الفقهية الأخرى وفي نطاق مدونة الأسرة.

المطلب الأول: على صعيد الفقه:

نتناول هذه الشروط بتلخيص عند المذاهب الفقهية الأربعة:

الفقرة الأولى: المذهب المالكي

أولا: الأشخاص الذين يثبت النسب بإقرارهم:

في نطاق هذا المذهب ينحصر من يثبت النسب بإقراره في الأب وحده دون غيره من الأقارب بمن في ذلك الأم والإبن، ويقول الشيخ خليل في هذا الشأن: "إنما يستلحق الأب مجهول النسب" ويقول شارحه، ومنهم الشيخ الحطاب: "أتى بأداة الحصر لينبه أن الاستلحاق لا يصح إلا من الأب فقط، وهذا هو المشهور" ثم أضاف (أي الحطاب)" : وخرج بأداة الحصر استلحاق الأم "قال ابن عرفة: "واستلحاق الأم لغو".

وفي مدونة الإمام مالك ورد في هذا الشأن ما يلي: "أرأيت لو أن امرأة نظرت إلى رجل فقالت هذا ابني، ومثله يولد لمثلها فقال (أي الرجل): صدقت هي أمي، أيثبت نسبه منها في قول مالك أم لا؟ (أي ابن القاسم) لم أسمع من مالك فيه شيئا، إلا أني لا أرى أنه يثبت نسبه، لأنه ليس هاهنا أب يلحق به".من خلال ما ذكر يتضح أن الأم لا يقبل منها الاستلحاق في المذهب المالكي، أي الإقرار بولد، كما لا يقبل من باقي الأقارب في المشهور من هذا المذهب، وقد أشير إلى هذه المسألة عند شرح الشيخ الرصاع للتعريف الذي وضعه ابن عرفة للاستلحاق، في أول الكلام عن الاستلحاق.

ثانيا: شروط الإقرار الذي يثبت به النسب

في مذهب الإمام مالك يشترط لصحة الإقرار كسبب للحوق النسب، وذلك انطلاقا من النصوص الفقهية المذكورة ومن تعريف الاستلحاق المتقدم ذكره الشروط التالية:

- كون المقر هو الأب،
- كون الولد المقر به مجهول النسب،
- عدم وجود ما يكذب المقر عقلا أو عادة،
- أن لا يتضمن الإقرار تحميل النسب على غير المقر،

إن كون المقر هو الأب مأخوذ بداية من تعريف فقهاء المالكية للاستلحاق ومن النصوص الفقهية المشار إليها، ولذلك فلا يقبل من غيره من الأقارب الاستلحاق كما سبقت الإشارة إلى ذلك،

إن كون الولد المقر به مجهول النسب هذا الشرط ينصرف إلى معنى كون الولد لا يكون له نسب معروف وثابت لشخص آخر غير المقر، ولذلك فلا يستلحق الولد معلوم النسب وكذا الولد مقطوع النسب، كولد الزنا لأن الشرع قطع نسبه عن الزاني".

أن لا يكذب المقر عقل أو عادة.

أما المقصود بشرط فيعني عدم وجود قرائن قوية تجعل الإقرار غير صحيح، ومثلوا لذلك بوجود فارق في السن بين المقر وبين المقر به، بحيث لا يتصور عقلا ولادته منه، كما إذا كان هذا الفارق بينهما في السن ست سنوات.

الفقرة الثانية: في المذهب الشافعي

الأشخاص الذين يثبت النسب بإقرارهم وشروطه:

أما في نطاق مذهب الإمام الشافعي فيقبل الإقرار من:

1 - الأب بنفس الشروط المشار إليها في المذهب المالكي مع إضافة شرط آخر وهو تصديق الولد إذا كان بالغا، ولا يكتفي في تصديقه أن يكون مميزا كما هو الشأن عند الحنفية الذين يكتفون بتصديق الولد المميز، وأن يكون عاقلا لاعتبار تصديقه، وإلا فلا يتطلب هذا التصديق"،

2 - الأقارب الآخرين من غير الأب كالإخوة والأعمام وأبناء الأعمام بالشروط التي يشترطها في إقرار الابن، مع إضافة شروط أخرى وهي:

أ - أن يكون الملحق به النسب ميتا، فمثلا إذا قال شخص هذا أخي مع توفر الشروط المذكورة ثبت بذلك الإقرار نسب الشخص المقر به إلى والده إذا كان ميتا،

ب - أن يكون المقر وارثا للشخص الملحق به النسب،

ت - أن يكون حائزا لتركة الأصل الميت الذي تم إلحاق الشخص المقر به إليه،

ث - أن يكون المقر هو وحده الوارث فإن كان له إخوة آخرون فيشترط تصديقهم له في إقراره.

الفقرة الثالثة: في مذهب الحنفية

أولا: الأشخاص الذين يثبت النسب بإقرارهم،

في إطار مذهب أبي حنيفة فإن الأشخاص الذين يثبت النسب بإقرارهم، هم:

1 - الأب الذي يقر بولده،
2 - الابن الذي يقر بوالده أو بأمه،
3 - الأم التي تقر بولدها،
4 - البنت التي تقر بأبيها أو بأمها.

فيقبل في هذا المذهب من هؤلاء الإقرار بالنسب، أي إقرار الأصل بالفرع والفرع بالأصل إذا توفرت شروط معينة، وهي:

ثانيا: شروط الإقرار عند الحنفية:

تتلخص هذه الشروط فيما يلي:

أ - أن يكون الشخص المقر به مجهول النسب،

ب - أن يكون الإقرار محتملا للصدق، بحيث يمكن عقلا أو عادة أن ينسب الولد المقر به إلى المقر، بمعنى أن لا تكون هناك قرائن قوية على كذبه، ويتفق الحنفية في هذين الشرطين مع المذهب المالكي فيما يخص إقرار الأب الذي لا يصح الإقرار من غيره عند هذا المذهب.

ثالثا: تصديق المقر به للمقر في إقراره إذا كان مميزا دون اشتراط بلوغه، وذلك خلافا لما ذهب إليه الشافعية، وتصديق زوج المقر لهذا الأخير إذا كان الولد منسوبا إليه، أما إذا كان المقر به غير مميز وقت الإقرار فلا يشترط التصديق، وإذا كان الإقرار بغير من ذكر، كالإخوة فلا يثبت به النسب، ويقول الإمام الكاساني من الحنفية في شأن الإقرار بالنسب: "وأما الإقرار بالنسب فهو الإقرار بالنسب فهو الإقرار بالوارث وهو نوعان، أحدهما إقرار الرجل بوارث والثاني إقرار الوارث بوارثه، ويتعلق بكل منهما حكمان: حكم النسب وحكم الميراث، أما الإقرار بوارث فلصحته في حق ثبوت النسب شرائط منها:

1 - أن يكون المقر به محتمل الثبوت، لأن الإقرار إخبار عن كائن، فإذا استحال كونه، فالإخبار عن كائن يكون كذبا محضا، وبيانه أن من أقر بغلام أنه ابنه ومثله لا يلد مثله لا يصح إقراره لأنه يستحيل أن يكون ابنا له، فكان كاذبا في إقراره بيقين،

2 - أن لا يكون المقر بنسبه معروف النسب من غيره، فإن كان لم يصح، لأنه إذا ثبت من غيره لا يحتمل ثبوته له بعده،

3 - تصديق المقر بنسبه إذا كان في يد نفسه، لأن إقراره يتضمن إبطال يده فلا تبطل إلا برضاه، ولا يشترط صحة المقر لصحة إقراره بالنسب، حيث يصح من الصحيح والمريض جميعا، لأن المرض ليس بمانع لعينه، بل لتعلق حق الغير، أو التهمة، فكل ذلك منعدم، أما التعلق فظاهر العدم، لأنه لا يعرف التعلق في مجهول النسب، وكذلك معنى التهمة، لأن الإرث ليس من لوازم النسب، فإن لحرمان الإرث أسباب لا تقدح في النسب من القتل و(الرق) واختلاف الدين،

4 - أن لا يكون فيه حمل النسب على الغير سواء كذبه المقر بنسبه أو صدقه لأن إقرار الإنسان حجة على نفسه لا على غيره لأنه على غيره شهادة أو دعوى، والدعوى المفردة ليست حجة، وشهادة الفرد الواحد فيما يطلع عليه الرجال - وهو من باب حقوق العباد - غير مقبولة، والإقرار الذي فيه حمل نسب الغير على غيره إقرار على غيره لا على نفسه، فكان دعوى، أو شهادة، وكل ذلك لا يقبل إلا بحجة، وعلى هذا يجوز إقرار الرجل بخمسة نفر: الوالدين والولد والزوجة والمولى، ويجوز إقرار المرأة بأربع نفر: الوالدين والزوج والمولى، ولا يجوز بالولد، لأنه ليس في الإقرار بهؤلاء حمل نسب الغير على غيره... أما الإقرار بالزوجية فكذلك ليس فيه حمل نسب الغير على غيره، لكن لابد من التصديق (لما ذكرناه) ثم إن التصديق في حال حياة المقر جاز بلا خلاف، وإن وجد بعد وفاته فإن كان الإقرار من الزوج يصح التصديق من المرأة سواء صدقته في حياته أو بعد مماته بالإجماع، بأن أقر الرجل بالزوجية فمات ثم صدقته المرأة، لأن النكاح يبقى بعد الموت من وجه، لبقاء بعض أحكامه في العدة، فكان محتملا للتصديق، وإن كان الإقرار بالزوجية من المرأة فصدقها الزوج بعد موتها لا يصح عند أبي حنيفة، وعند أبي يوسف ومحمد يصح، ووجه قولهما ما ذكرنا من أن النكاح يبقى بعد الموت من وجه، ووجه قول أبي حنيفة أن النكاح للحال عدم حقيقة".

الفقرة الرابعة: المذهب الحنبلي

الأشخاص الذي يثبت النسب بإقرارهم وشروطه:

المذهب الحنبلي يماثل تماما المذهب الشافعي فيما يخص الأشخاص الذين يثبت النسب بإقرارهم، وكذلك فيما يخص شروط هذا الإقرار، مع اختلاف بسيط في بعض التفاصيل الخاصة بالبنت والأخت والأم وباقي ذوي الفروض، وإنما يضيف - ابن قدامة - وهو من المذهب الحنبلي - شرطا آخر فيما يخص إقرار الأب وهو ألا تكون هناك منازعة في هذا الإقرار من طرف الغير".

المطلب الثاني: شروط الاستلحاق في مدونة الأسرة

إن شروط الاستلحاق التي قررتها مدونة الأسرة بالنسبة للأب في المادة 160 فهي:

1 - أن يكون الأب المقر عاقلا،
2 - ألا يكون الولد المقر به معلوم النسب،
3 - أن لا يكون المستلحق - بكسر الحاء - عقل أو عادة،
4 - أن يوافق المستلحق - بفتح الحاء - إذا كان راشدا حين الاستلحاق، وإذا استلحق قبل أن يبلغ سن الرشد فله الحق في أن يرفع دعوى النسب عند بلوغه سن الرشد، وإذا عين المستلحق الأم، أمكنها الاعتراض بنفي الولد عنها، أو الإدلاء بما ثبت عدم صحة الاستلحاق.
5 - لكل من له المصلحة أن يطعن في صحة توفر شروط الاستلحاق المذكورة، مادام المستلحق حيا..